أبو بكر الصديق
خليفة رسول الله ﷺ (ع)

اسمه عبد الله ـ ويقال عتيق ـ بن أبي قُحافة عثمان بن عامر القرشي التيمي رضي الله عنه .

روى عنه خلق من الصحابة وقدماء التابعين .

قال ابن أبي مُليكة وغيره : إنما كان عتيق لقباً له .

وعن عائشة قالت : اسمه الذي سماه أهله به « عبد الله » ولكن غلب عليه عتيق .

وقال ابن معين : لقبه عتيق لأن وجهه كان جميلًا ، وكذا قال الليث بن سعد .

وقال غيره : كان أعلم قريش بأنسابها .

وكان أول من آمن من الرجال .

وقال ابن الأعرابي : العرب تقول للشيء قد بلغ النهاية في الجودة : عتيق .

[١] وعن عائشة قالت : ما أسلم أبو أحد من المهاجرين إلا أبو بكر .

وعن الزهري قال : كان أبو بكر أبيض أصفر لطيفاً جعداً مُسترق الوركين ، لا يثبت إزاره على وركيه .

[٢] وجاء أنه اتجر إلى بُصرى غير مرة ، وأنه أنفق أمواله على النبي ﷺ وفي سبيل الله .

[٣] قال رسول الله ﷺ : « ما نفعني مال ما نفعني مالُ أبي بكر » .

وقال عروة بن الزبير : أسلم أبو بكر يوم أسلم وله أربعون ألف دينار .

وقال عمرو بن العاص : يا رسول الله أيّ الرجال أحبّ إليك ؟ قال : « أبو بكر » .

[١] عن علي : إن النبي ﷺ نظر إلى أبي بكر وعمر فقال : « هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين ، لا تخبرهما يا علي » .

[٢] وقال ابن مسعود : قال رسول الله ﷺ : « لو كنت متّخذاً خليلًا لاتّخذت أبا بكر خليلًا » .

[٣] روى مثله ابن عباس فزاد : « ولكن أخي وصاحبي في الله ، سدوا كل خوخة[١] في المسجد غير خوخة أبي بكر » .

[٤] عن عمر أنه قال : « أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ » .

عن عبد الله بن شقيق قال : قلت لعائشة : أي أصحاب النبي ﷺ كان أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ قالت : أبو بكر ، قلت : ثم من ؟ قالت : عمر ، قلتُ : ثم من ؟ قالت : أبو عبيدة : قلت : ثم من ؟ فسكتت .

عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال : « إن عبداً خيّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده » ، فقال أبو بكر : فديناك يا رسول الله بآبائنا وأمهاتنا ، قال : فعجبنا ، فقال الناس : انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيّره الله ، وهو يقول : فديناك بآبائنا وأمهاتنا ، قال : فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر وكان أبو بكر أعلمنا به .

[٥] وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما لأحد عندنا يد إلا كافأناه ما خلا أبا بكر ، فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة ، وما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر ، ولو كنت متخذاً خليلًا لاتّخذت أبا بكر خليلًا ألا وإن صاحبكم خليلُ الله » .

---

(١) الخوخة : نافذة كبيرة بين دارين ، عليها باب يخترق بينهما .

[١] قال محمد بن جبير بن مطعم : أخبرني أبي أن امرأة أتت رسول الله ﷺ فكلمته في شيء ، فأمرها بأمر ، فقالت : أرأيت يا رسول الله إن لم أجدك ؟[١] قال : « إن لم تجديني فأتي أبا بكر » .

[٢] عن عائشة قالت : قال لي رسول الله ﷺ في مرضه : « ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمنٍّ ويقول قائل ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » .

[٣] وأخرج البخاري من حديث أبي إدريس الخولاني قال : سمعت أبا الدرداء يقول : كان بين أبي بكر وعمر محاورة فأغضب أبو بكر عمر ، فانصرف عنه عمر مغضباً فاتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له ، فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه ، فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ ، فقال أبو الدرداء : ونحن عنده ، فقال رسول الله ﷺ : « أما صاحبكم هذا فقد غامر » ، قال : وندم عمر على ما كان منه ، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي ﷺ فقصَّ على رسول الله ﷺ الخبر ، قال أبو الدرداء : وغضب رسول الله ﷺ وجعل أبو بكر يقول : والله يا رسول الله لأنا كنت أظلم . فقال رسول الله ﷺ : « هل أنتم تاركون لي صاحبي ؟ إني قلت يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ، فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت » .

[٤] وقال عطاء بن السائب : لما استخلف أبو بكر أصبح وعلى رقبته أثواب يتجر فيها ، فلقيه عمر وأبو عبيدة فكلماه فقال : فمن أين أطعم عيالي ؟ قالا : انطلق حتى نفرض لك ، قال : ففرضوا له كل يوم شطر شاة ، وما كسوه في الرأس والبطن[٢] ، وقال عمر : إليَّ القضاء ، وقال أبو عبيدة : إلي الفيء ، فقال عمر : لقد كان يأتي عليَّ الشهر ما يختصم إليَّ فيه اثنان .

---

(١) قال جبير بن مُطعم : كأنها تعني الموت .

(٢) قلت : انظر إلى هؤلاء الرجال ، ما أعظمهم ، وما أعظم ما قعدوه من قواعد للحكم سبقوا بها الغرب بقرون كثيرة ، يُعطى خليفة المسلمين نصيبه ، ويجادلونه في أمر رأس الشاة وبطنها ، هل يستحقه أم لا ؟ إن هؤلاء هم السادة ، وهم فخر الأمم .

وقال محمد بن سيرين : كان أبو بكر أعبر هذه الأمة لرؤيا بعد النبي ﷺ .

وقال الزبير بن بكار عن بعض أشياخه قال : خطباء الصحابة : أبو بكر ، وعلي .

[١] عن عروة ، عن عائشة أنها كانت تدعو على من زعم أن أبا بكر قال هذه الأبيات ، وقالت : والله ما قال أبو بكر شعراً في جاهلية ولا في إسلام ، وقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية .

[٢] عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن عمر صعد المنبر ثم قال : ألا إن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، فمن قال غير ذلك بعد مقامي هذا فهو مفترٍ ، عليه ما على المفتري .

[٣] وقال أبو معاوية وجماعة : ثنا سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : كنا نقول على عهد رسول الله ﷺ : إذا ذهب أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، استوى الناس ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فلم ينكره .

[٤] وقال علي : « خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، وعمر » . هذا والله العظيم قاله علي وهو متواتر عنه ، لأنه قاله على منبر الكوفة ، فقاتل الله الرافضة ما أجهلهم .

وقال السدي ، عن عبد خير ، عن علي قال : « أعظم الناس اجراً في المصاحف أبو بكر ، كان أول من جمع القرآن بين اللوحين » إسناده حسن .

وعن عائشة قالت : « أول ما بدىء مرض أبي بكر أنه اغتسل ، وكان يوماً بارداً فحمَّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة ، وكان يأمر عمر بالصلاة ، وكانوا يعودونه ، وكان عثمان ألزمهم له في مرضه . وتوفي مساء ليلة الثلاثاء لثمانٍ بقين من جمادى الآخرة . وكانت خلافته سنتين ومائة يوم .

وقال أبو معشر : سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليال ، عن ثلاث وستين .

[٥] وقال الواقدي : إن أبا بكر لما ثقل دعا عبد الرحمن بن عوف فقال : أخبرني عن عمر ، فقال : ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني ، قال :

وإن ، فقال : هو والله أفضل من رأيك فيه ، ثم دعا عثمان فسأله عن عمر ، فقال : علمي فيه أن سريرته خير من علانيته وأنه ليس فينا مثله ، فقال : يرحمك الله ، والله لو تركته ما عدوتك ، وشاور معهما سعيد بن زيد ، وأسيد بن الحضير وغيرهما ، فقال قائل : ما تقول لربك إذا سألك عن استخلافك عمر وقد ترى غلظته ؟ فقال : أجلسوني ، أبالله تخوفوني ؟! أقول : استخلفت عليهم خير أهلك .

ثم دعا عثمان فقال : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد أبو بكر ابن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها ، وعند أول عهده بالاخرة داخلاً فيها ، حيث يؤمن الكافر ، ويوقن الفاجر ، ويصدق الكاذب ، إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاستمعوا له وأطيعوا ، وإني لم آلُ[١] الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً ، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه ، وإن بدل فلكل امرىء ما اكتسب ، والخير أردت ولا أعلم الغيب ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [٢] .

[١] عن أبي بكر بن حفص بن عمر : إن عائشة تمثلت لما احتضر أبو بكر :

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فقال : ليس كذلك ولكن : ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [٣] ، إني نحلتك حائطاً وإن في نفسي منه شيئاً فرديه على الميراث ، قالت : نعم : قال : أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً ولكنا أكلنا من جريش[٤] طعامهم في بطوننا ، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا ، وليس عندنا من فيء المسلمين شيء إلا هذا العبد الحبشي وهذا البعير الناضح وجرد هذه القطيفة[٥] ،

---

(١) لم أقصر .
(٢) الشعراء : ٢٢٧ .
(٣) ق : ١٩ .
(٤) أي خشن طعامهم .
(٥) أي التي انجرد حملها وخلقت .

فإذا متُّ فابعثي بهن إلى عمر ، ففعلت .

[١] وقال القاسم ، عن عائشة : إن أبا بكر حين حضره الموت قال : إني لا أعلم عند آل أبي بكر غير هذه اللقحة وغير هذا الغلام الصيقل ، كان يعمل سيوف المسلمين ويخدمنا ، فإذا مت فادفعيه إلى عمر ، فلما دفعته إلى عمر قال عمر : رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده .

وقال الزهري : أوصى أبو بكر أن تغسله امرأته أسماء بنت عميس ، فإن لم تستطع استعانت بابنه عبد الرحمن .

[٢] وقال عبد الواحد بن أيمن وغيره ، عن أبي جعفر الباقر قال : دخل علي على أبي بكر بعد ما سجي فقال : ما أحد ألقى الله بصحيفته أحب إليّ من هذا المسجى .

وقال القاسم : أوصى أبو بكر أن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ فحفر له ، وجعل رأسه عند كتفي رسول الله ﷺ .

وعن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : رأس أبي بكر عند كتفي رسول الله ﷺ ، ورأس عمر عند حِقْوَيْ[1] أبي بكر .

وعن مجاهد قال : كلم أبو قحافة في ميراثه من ابنه فقال : قد رددت ذلك على ولده ، ثم لم يعش بعده إلا ستة أشهر وأياماً .

وجاء أنه ورثه أبوه وزوجتاه أسماء بنت عميس ، وحبيبة بنت خارجة والدة أم كلثوم ، وعبد الرحمن ، ومحمد ، وعائشة ، وأسماء ، وأم كلثوم .

بيعة أبي بكر رضي الله عنه

عن ابن عباس ، أن عمر خطب الناس فقال في خطبته : وقد أبلغني أن قائلاً يقول : « لو مات عمر بايعت فلاناً ، فلا يغترن امرؤ أن يقول : كانت بيعة أبي بكر فلتة ، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر ، وإنه كان من خبرنا حين

(١) قلت : الحِقْو : معقد الإزار .

توفي رسول الله ﷺ اجتمع المهاجرون ، وتخلف علي والزبير في بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وتخلف الأنصار في سقيفة بني ساعدة ، فقلت : يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار ، فانطلقنا نؤمهم ، فلقينا رجلان صالحان من الأنصار فقالا : لا عليكم أن لا تأتوهم وأبرموا أمركم ، فقلت : والله لنأتينهم ، فأتيناهم في سقيفة بني ساعدة ، فإذا هم مجتمعون على رجل مزمل بالثياب ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : سعد ابن عبادة مريض ، فجلسنا ، وقام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد فنحن الأنصار وكتيبة الإيمان ، وأنتم معشر المهاجرين رهط منا ، وقد دفّت إليكم دافة[١] يريدون أن يختزلونا[٢] من أصلنا ويحضنونا[٣] من الأمر .

قال عمر : فلما سكتَ أردت أن أتكلم بمقالة قد كانت أعجبتني بين يدي أبي بكر ، فقال أبو بكر : على رسلك ، وكنت أعرف منه الجد ، فكرهت أن أغضبه ، وهو كان خيراً مني وأوفق وأوقر ، ثم تكلم ، فوالله ما ترك كلمة أعجبتني إلا قد قالها وأفضل منها حتى سكت ، ثم قال : أما بعد : ما ذكرتم من خير فهو فيكم معشر الأنصار ، وأنتم أهله وأفضل منه ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ، فبايعوا أيهما شئتم ، وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجراح ، قال : فما كرهت شيئاً مما قاله غيرها ، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك إلى إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر إلا أن تتغير نفسي عند الموت ، فقال رجل من الأنصار[٤] : أنا جُذَيْلُها المُحَكّك[٥] وعُذَيْقُها المُرَجَّب[٦] ، منا أمير ومنكم أمير معشر المهاجرين ، قال : وكثر اللغط

---

(١) الدافة : القوم يسيرون جماعة سيراً ليس بالشديد .

(٢) أي يقتطعونا .

(٣) بمعنى يخرجونا .

(٤) هو الحباب بن المنذر الأنصاري .

(٥) الجذيل : تصغير جذل . وهو عود يكون في وسط مبرك الإبل تحتك به وتستريح إليه فيضرب به المثل في الرجل يُشتفى برأيه .

(٦) العذيق : تصغير عذق ، وهو النخلة نفسها . والمرجب : الذي تبنى إلى جانبه دعامة . ترفده لكثرة حمله ولعزه على أهله ، فضرب به المثل في الرجل الشريف الذي يعظمه قومه .

وارتفعت الأصوات حتى خشيت الاختلاف ، فقلنا ابسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون وبايعه الأنصار ، ونزوا[1] على سعد بن عبادة ، فقال قائل ، قتلتم سعداً . فقلت : قتل الله سعداً ، قال عمر : فوالله ما وجدنا فيما حضرنا أمراً أوفق من مُبايعة أبي بكر ، خشينا إن نحن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة ، فإما بايعناهم على ما لا نرضى ، وإما خالفناهم فيكون فساد .

عن زر ، عن عبد الله قال : لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير . فأتاهم عمر فقال : يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن أبا بكر قد أمره النبي ﷺ أن يؤم الناس ؟ قالوا : بلى ، قال : فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ؟ ـ قلت : يعني في الصلاة ـ فقالت الأنصار : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر .

عن ابن سيرين ، قال أبو بكر لعمر : ابسط يدك نبايع لك ، فقال عمر : أنت أفضل مني ، فقال أبو بكر : أنت أقوى مني ، قال : إن قوتي لك مع فضلك .

عن أنس أنه سمع خطبة عمر الآخرة قال : حين جلس أبو بكر على منبر رسول الله ﷺ غداً من مُتَوَفّى رسول الله ﷺ فتشهد عمر ، ثم قال : أما بعد : فإني قلت لكم أمسِ مقالة وإنها لم تكن كما قلت ، وما وجدت المقالة التي قلت لكم في كتاب الله ولا في عهد رسول الله ﷺ ، ولكن رجوت أنه يعيش حتى يدبرنا ـ يقول حتى يكون رسول الله ﷺ آخرنا ـ فاختار الله لرسوله ما عنده على الذي عندكم ، فإن يكن رسول الله ﷺ قد مات ، فإن الله قد جعل بين أظهركم كتابه الذي هدى به محمداً ، فاعتصموا به تهتدوا بما هدي به محمد ﷺ ، ثم ذكر أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين وأنه أحق الناس بأمرهم ، فقوموا فبايعوه ، وكان طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة ، وكانت البيعة على المنبر بيعة العامة .

---

(١) نزوا : وثبوا عليه ووطئوه .

وقد قيل إن علياً رضي الله عنه تمادى عن المبايعة مدة : فقال عروة : عن عائشة قالت : لما توفيت فاطمة بعد أبيها بستة أشهر اجتمع إلى علي أهل بيته ، فبعثوا إلى أبي بكر : ائتنا ، فقال عمر : لا والله لا تأتيهم ، فقال أبو بكر : والله لآتينهم ، وما تخاف علي منهم ! فجاءهم حتى دخل عليهم فحمد الله ثم قال : إني قد عرفت رأيكم ، قد وجدتم عليَّ في أنفسكم من هذه الصدقات التي وُلِّيتُ عليكم ، ووالله ما صنعت ذلك إلا أني لم أكن أريد أن أكِلَ شيئاً من أمر رسول الله ﷺ كنت أرى أثره فيه وعمله إلى غيري حتى أسلك به سبيله وأنفذه فيما جعله الله ، والله لأن أصِلكم أحب إلي من أن اصل أهل قرابتي لقرابتكم من رسول الله ﷺ ولعظيم حقه . ثم تشهّد عليٌّ وقال : يا أبا بكر والله ما نَفَسْنا[1] عليك خيراً جعله الله لك أن لا تكون أهلًا لما أسند إليك ، ولكنا كنا من الأمر حيث قد علمت فتفوت به علينا ، فوجدنا في أنفسنا ، وقد رأيت أن أبايع وأدخل فيما دخل فيه الناس ، وإذا كانت العشية فصل بالناس الظهر ، واجلس على المنبر حتى آتيك فأبايعك ، فلما صلى أبو بكر الظهر ركب المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر الذي كان من أمر علي ، وما دخل فيه من أمر الجماعة والبيعة ، وها هو ذا فاسمعوا منه ، فقام علي فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر أبا بكر وفضله وسنه ، وأنه أهل لما ساق الله إليه من الخير ، ثم قام إلى أبي بكر فبايعه .

أخرجه البخاري من حديث عقيل عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة وفيه : وكان لعلي من الناس وجهٌ حياةَ فاطمة ، فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس ، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته[2] .

---

(١) قلت : معناه حسدنا وضننا . (القاموس المحيط) : نفس .

(٢) قال الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية ٥/ ٢٨٦) فهذه البيعة التي وقعت من علي لأبي بكر ، بعد وفاة فاطمة ، بيعة مؤكدة للصلح الذي وقع بينهما ، وهي ثانية للبيعة التي ذكرناها أولاً يوم السقيفة ، كما رواه ابن خزيمة ، وصححه مسلم ، ولم يكن علي مجانباً لأبي بكر هذه الستة الأشهر ، بل كان يصلي وراءه ، ويحضر عنده للمشورة ، وركب معه إلى ذي القَصَّة .

قصة الأسود العَنْسيّ

عن الضحاك بن فيروز الديلمي ، عن أبيه قال : أول ردة كانت في الإسلام على عهد رسول الله ﷺ على يد عبهلة بن كعب .

خرج بعد حجة الوداع ، وكان شِعْباذاً يريهم الأعاجيب ، ويسبي قلوب من يستمع منطقه ، فوثب هو ومَذْحِج بنجران إلى أن صار إلى صنعاء فأخذها ، وصفا له ملك اليمن .

عن عبيد بن صخر قال : غلب الأسود على ما بين أعمال الطائف إلى البحرين وغير ذلك واستغلظ أمره وغلب على أكثر اليمن ، وارتد معه خلق ، وعامله المسلمون بالتقية ، وأسند أمر جنده إلى قيس بن عبد يغوث .

قال : فبينا نحن كذلك بحضرموت ولا نأمن أن يسير إلينا الأسود ، وقد تزوج معاذ في السَّكُون[1] ، إذ جاءتنا كتب النبي ﷺ يأمرنا فيها أن نبعث الرجال لمجاولته ومصاولته ، فقام معاذ في ذلك ، فعرفنا القوة ووثقنا بالنصر .

عن جشنِس بن الديلمي قال : قدم علينا وَبَر بن يُحَنَّس بكتاب رسول الله ﷺ فأمرنا فيه بالنهوض في أمر الأسود فرأينا أمراً كثيفاً ، ورأينا الأسود قد تغير لقيس ابن عبد يغوث ، فأخبرنا قيساً وأبلغناه عن النبي ﷺ ، فكأنما وقعنا عليه من السماء فأجابنا ، وجاء وَبَر وكاتبنا الناس ودعوناهم ، فأخبر الأسودَ شيطانه فأرسل إلى قيس فقال : ما يقول المَلَكُ ؟ يقول : عمدت إلى قيس فأكرمته ، حتى إذا دخل منك كل مدخل مال مَيْلَ عدوك ، فحلف له وتنصل ، فقال : أتكذب المَلَك ؟ قد صدق وعرفت أنك تائب ، قال : فأتانا قيس وأخبرنا فقلنا : نحن على حذر ، وأرسل إلينا الأسود : ألم أشرفكم على قومكم ، ألم يبلغني عنكم ؟ فقلنا : أَقِلْنا مَرَّتَنا هذه ، فقال : فلا يبلغني عنكم فأقتلكم ، فنجونا ولم

---

(١) بطن من كندة .

نكد ، وهو في ارتياب من أمرنا .

قال : فدخلت على امرأته آذاد فقلت : يا ابنة عم ، قد عرفت بلاء هذا الرجل ، وقتل زوجك وقومك وفضح النساء ، فهل من ممالأة عليه ؟ قالت : ما خلق الله أبغض إلي منه ، ما يقوم على حق ولا ينتهي عن حرمة .

ثم قالت : هو متحرز ، والحرس يحيطون بالقصر سوى هذا الباب فانقبوا عليه ، وهيأت لنا سراجاً ، وخرجت ، فتلقاني الأسود خارجاً من القصر فقال : ما أدخلك ؟ ووجأ رأسي فسقطت ، فصاحت المرأة وقالت : ابن عمي زارني ، فقال : اسكتي لا أبا لك لقد وهبته لك ، فأتيت أصحابي وقلت : النجاء ، وأخبرتهم الخبر ، فأنا على ذلك إذ جاءني رسولها : لا تدعن ما فارقتك عليه ، فقلنا لفيروز : ائتها وأتقن أمرنا ، وجئنا بالليل ودخلنا ، فإذا سراج تحت جفنة ، فاتّقينا بفيروز ، وكان أنجدنا ، فلما دنا من البيت سمع غطيطاً شديداً ، وإذا المرأة جالسة . فلما قام فيروز على الباب أجلس الأسود شيطانه وكلمه فقال أيضاً : فما لي ولك فيروز ، فخشي إن رجع أن يهلك هو والمرأة ، فعاجله وخالطه وهو مثل الجمل ، فأخذ برأسه فدق عنقه وقتله ، ثم قام ليخرج فأخذت المرأة ثوبه تناشده ، فقال : أخبر أصحابي بقتله ، فأتانا فقمنا معه ، فأردنا حز رأسه فحركه الشيطان واضطرب ، فلم يضبطه فقال : اجلسوا على صدره ، فجلس اثنان وأخذت المرأة بشعره ، وسمعنا بربرة[1] فألجمته بملاءة[2] ، وأمرّ الشفرة على حلقه ، فخار كأشد خوار ثور ، فابتدر الحرس الباب : ما هذا ما هذا ؟ قالت : النبي يوحى إليه ، قال : وسمرنا ليلتنا كيف نخبر أشياعنا ، فأجمعنا على النداء بشعارنا ثم بالأذان ، فلما طلع الفجر نادى داذويه بالشعار ، ففزع المسلمون والكافرون ، واجتمع الحرس فأطاحوا بنا ، ثم ناديت بالأذان ، وتوافت خيولهم إلى الحرس فناديتهم : أشهد أن محمداً رسول الله ، وأن عبهلة

(١) صياحاً .
(٢) خرقة .

كذاب ، والقينا إليهم الرأس ، وأقام وَبَر الصلاة ، وشنها القوم غارة ، وناديا : يا أهل صنعاء من دخل عليه داخل فتعلقوا به ، فكثر النهب والسبي ، وخلصت صنعاء والجَنَد ، وأعز الله الإسلام ، وتنافسنا الإمارة ، وتراجع أصحاب رسول الله ﷺ ، فاصطلحنا على معاذ بن جبل ، فكان يصلي بنا ، وكتبنا إلى النبي ﷺ الخبر فقدمت رسلنا ، وقد قبض النبي ﷺ صبيحتئذٍ فأجابنا أبو بكر عنه .

جيش أسامة بن زيد

قال هشام بن عروة ، عن أبيه قال : جعل رسول الله ﷺ يقول في مرضه : « أنفذوا جيش أسامة ، فسار حتى بلغ الجُرْف ، فأرسلت إليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول : لا تعجل فإن رسول الله ثقيل ، فلما يبرح حتى قبض رسول الله ﷺ ، فلما قبض رجع إلى أبي بكر فقال : إن رسول الله ﷺ بعثني وأنا على غير حالكم هذه ، وأنا أتخوف أن تكفر العرب ، وإن كفرت كانوا أول من يقاتل ، وإن لم تكفر مضيت ، فإن معي سروات الناس وخيارهم ، قال : فخطب أبو بكر الناس ، ثم قال : والله لأن تخطفني الطير أحب إلي من أن أبدأ بشيء قبل أمر رسول الله ﷺ ، قال : فبعثه أبو بكر ، واستأذن لعمر أن يتركه عنده ، وأمر أن لا يَجْزِرَ في القوم : أن يقطع الأيدي ، والأرجل والأوساط في القتال ، قال : فمضى حتى أغار ، ثم رجعوا وقد غنموا وسلموا .

فكان عمر يقول : ما كنت لأحيِّي أحداً بالإمارة غير أسامة ، لأن رسول الله ﷺ قبض وهو أمير .

وقيل : كان ابن عشرين سنة .

خبر الردة

لما اشتهرت وفاة النبي ﷺ بالنواحي ، ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام ومنعوا الزكاة ، فنهض أبو بكر الصديق رضي الله عنه لقتالهم ، فأشار عليه عمر وغيره أن يفتر عن قتالهم . فقال : والله لو منعوني عقالًا أو

عَناقاً[١] كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها ، فقال عمر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فمن قالها عصم مني ماله ودمه إلا بحقها وحسابه على الله » ، فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال وقد قال : « إلا بحقها » ، فقال عمر : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق .

عن عروة وغيره قال : فخرج أبو بكر في المهاجرين والأنصار حتى بلغ نقعاً حذاء نجد ، وهربت الأعراب بذراريهم ، فكلم الناس أبا بكر وقالوا : ارجع إلى المدينة وإلى الذرية والنساء وأمر رجلًا على الجيش ، ولم يزالوا به حتى رجع وأمَّر خالد بن الوليد ، وقال له : إذا أسلموا وأعطوا الصدقة فمن شاء منكم فليرجع ، ورجع أبو بكر إلى المدينة .

فسار خالد لقتال طُلَيحة الكذاب فهزمه الله ، وكان قد بايع عيينة بن حصن ، فلما رأى طليحة كثرة انهزام أصحابه قال : ما يهزمكم ؟ فقال رجل : أنا أحدثك ، ليس منا رجل إلا هو يحب أن يموت صاحبه قبله ، وإنا نلقى قوماً كلهم يحب أن يموت قبل صاحبه ، وكان طليحة رجلًا شديد البأس في القتال ، فقتل طليحة يومئذ عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم .

فلما غلب الحق طليحة ترجل ، ثم أسلم وأهلّ بعمرة ، فركب يسير في الناس آمناً ، حتى مر بأبي بكر بالمدينة ، ثم سار إلى مكة فقضى عمرته ، ثم حسن إسلامه .

عن عروة قال : فسار خالد ـ وكان سيفاً من سيوف الله تعالى ـ فأسرع السير حتى نزل ببزاخة ، وبعثت إليه طيء : إن شئت أن تقدم علينا فإنا سامعون مطيعون ، وإن شئت ، نسير إليك ، قال خالد : بل أنا ظاعن إليكم إن شاء الله ، فلم يزل بِبُزاخة ، وجمع له هناك العدو بنو أسد وغطفان فاقتتلوا ، حتى قُتل من

---

(١) الأنثى من ولد المعز .

العدو خلق وأسر منهم أسارى .

ثم ظعن يريد طيئاً ، فأقبلت بنو عامر وغطفان والناس مسلمين مقرين بأداء الحق ، فقبل منهم خالد .

وقتل في ذلك الوجه مالك بن نُوَيْرة التميمي في رجال معه من تميم ، فقالت الأنصار : نحن راجعون ، قد أقرت العرب بالذي كان عليها ، فقال خالد ومن معه من المهاجرين : قد لعمري آذن لكم ، وقد أجمع أميركم بالمسير إلى مسيلمة ابن ثُمامة الكذاب ، ولا نرى أن تفرقوا على هذه الحال ، فإن ذلك غير حسن ، وإنه لا حجة لأحد منكم فارق أميره وهو أشد ما كان إليه حاجة ، فأبت الأنصار إلا الرجوع ، وعزم خالد ومن معه ، وتخلفت الأنصار يوماً أو يومين ينظرون في أمرهم ، وندموا وقالوا : ما لكم والله عذر عند الله ولا عند أبي بكر إن اصيب هذا الطرف وقد خذلناهم ، فأسرعوا نحو خالد ولحقوا به ، فسار إلى اليمامة ، وكان مُجّاعة بن مُرارة سيد بني حنيفة خرج في ثلاثة وعشرين فارساً يطلب دماء في بني عامر ، فأحاط بهم المسلمون ، فقتل أصحاب مُجّاعة .

قتال مسيلمة الكذاب

عن الزهري : قاتل خالد مسيلمة ومن معه من بني حنيفة ، وهم يومئذ أكثر العرب عدداً وأشده شوكة ، فاستشهد خلق كثير ، وهزم الله بني حنيفة ، وقتل مسيلمة ، قتله وحشي بحربة .

[١] عن موسى بن أنس ، عن أبيه قال : لما كان يوم اليمامة دخل ثابت بن قيس فتحنط ، ثم قام فأتى الصف والناس منهزمون فقال : هكذا عن وجوهنا ، فضارب القوم ثم قال : بئسما عودتم أقرانكم ، ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ ، فاستشهد رضي الله عنه .

عن الزهري قال : ثم تحصن من بني حنيفة من أهل اليمامة ستة آلاف مقاتل في حصنهم ، فنزلوا على حكم خالد فاستحياهم .

عن عروة قال : وعمدت بنو حنيفة حين انهزموا إلى الحصون فدخلوها ، فأراد خالد أن يُنْهِدَ إليهم الكتائب ، فلم يزل مُجّاعة حتى صالحه على الصفراء والبيضاء ، والحلْقة والكُراع ، وعلى نصف الرقيق ، وعلى حائط من كل قرية ، فتقاضوا على ذلك .

وقال سلامة بن عمير الحنفي : يا بني حنيفة قاتلوا ولا تقاضوا خالداً على شيء ، فإن الحصن حصين ، والطعام كثير ، وقد حضر النساء ، فقال مُجّاعة : لا تطيعوه فإنه مشؤوم . فأطاعوا مُجّاعة . ثم إن خالداً دعاهم إلى الإسلام والبراءة مما كانوا عليه ، فأسلم سائرهم .

وقعة جُواثا

بعث الصدِّيق رضي الله عنه العلاء بن الحضرمي إلى البحرين ، وكانوا قد ارتدوا ـ إلا نفراً ثبتوا مع الجارود ـ فالتقوا بجُواثا فهزمهم الله .

قال ابن إسحاق : حاصرهم العلاء بجُواثا حتى كاد المسلمون يهلكون من الجهد ، ثم إنهم سكروا ليلة في حصنهم ، فبيتهم العلاء .

وفيها بعث الصديق عكرمة بن أبي جهل إلى عمان وكانوا ارتدوا ، وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى أهل النُّجَيْر[١] ، وكانوا ارتدّوا ، وبعث زياد ابن لبيد الأنصاري إلى طائفة من المرتدة .

[١] بعد فراغ قتال أهل الردة بعث أبو بكر الصديق خالد بن الوليد إلى أرض البصرة ، وكانت تسمى أرض الهند ، فسار خالد بمن معه من اليمامة إلى أرض البصرة ، فغزا الأُبُلَّة[٢] فافتتحها ، ودخل مَيْسان[٣] فغنم وسبى من القرى ، ثم سار نحو السواد ، فأخذ على أرض كَسْكَر[٤] وزَنْدَوَرَد .[٥] وبعد أن استخلف على

---

(١) النجير ، بالتصغير : حصن باليمن قرب حضرموت منيع لجأ إليه أهل الردة مع الأشعث بن قيس .

(٢) الأبلة : بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج .

(٣) ميسان : اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان .

(٤) كسكر : كورة واسعة قصبتها واسط بين الكوفة والبصرة .

(٥) زندورد : مدينة قرب واسط مما يلي البصرة خربت بعمارة واسط .

البصرة قُطْبة بن قتادة السدوسي ، وصالح خالد أهل أُلَيْس[١] على ألف دينار في ظهر رجب من السنة ، ثم افتتح نهر الملك[٢] ، وصالحه ابن بُقَيلة صاحب الحيرة على تسعين ألفاً ، ثم سار نحو أهل الأنبار فصالحوه .

ثم حاصر عين التمر[٣] ونزلوا على حكمه ، فقتل وسبى .

قال محمد بن جرير الطبري : ولما فرغ خالد من فتوح مدائن كسرى التي بالعراق صلحاً وحرباً خرج لخمس بقين من ذي القعدة متكتماً بحجته ، ومعه جماعة تعتسف[٤] البلاد حتى أتى مكة ، فتأتى له من ذلك ما لم يتأت لدليل ، فسار طريقاً من طرق الحيرة لم ير قط أعجب منه ولا أصعب ، فكانت غيبته عن الجند يسيرة ، فلم يعلم بحجه أحد إلا من أفضى إليه بذلك .

فلما علم ابو بكر بحجه عَتَبَه وعنفه وعاقبه بأن صرفه إلى الشام ، فلما وافاه كتاب أبي بكر عند منصرفه من حجه بالحيرة يأمره بانصرافه إلى الشام حتى يأتي من بها من جموع المسلمين باليرموك ، ويقول له : إياك أن تعود لمثلها .

قلت : وإنما جاء الكتاب بأن يسير إلى الشام في أوائل سنة ثلاث عشرة .

قلت: سار خالد بجيشه من العراق إلى الشام في البرية، وكادوا يهلكون عطشاً.

سنة ثلاث عشرة

قال ابن إسحاق : لما قفل أبو بكر عن الحج بعث عمرو بن العاص قِبَل فلسطين ، ويزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجراح وشُرَحبيل بن حَسَنَة ، وأمرهم أن يسلكوا على البلقاء .

---

(١) أليس : مصغر بوزن فليس ، الموضع الذي كانت فيه الواقعة بين المسلمين والفرس في أول أرض العراق من ناحية البادية .

(٢) نهر الملك : كورة واسعة ببغداد بعد نهر عيسى .

(٣) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة .

(٤) اعتسف الطريق : إذا قطعه دون صواب توخاه فأصابه .

وروى ابن جرير قال : قالوا لما وجه أبو بكر الجنود إلى الشام أول سنة ثلاث عشرة ، فأول لواء عقده لواء خالد بن سعيد بن العاص ثم عزله قبل أن يسير خالد ، وقيل : بل عزله بعد أشهر من مسيره ، وكتب إلى خالد فسار إلى الشام ، فأغار على غسان بمرج راهط ، ثم سار فنزل على قناة بُصرى ، وقدم أبو عبيدة وصاحباه فصالحوا أهل بُصْرى ، فكانت أول ما فتح من مدائن الشام ، وصالح خالد في وجهه ذلك أهل تدمر .

قال ابن إسحاق : ثم ساروا جميعاً قِبَل فلسطين ، فالتقوا بأجنادين بين الرملة وبيت جبرين ، والأمراء كل على جنده ، وقيل : إن عَمْراً كان عليهم جميعاً ، وانهزم المشركون .

وقال الواقدي : الثبت عندنا أن أجنادين كانت في جمادى الأولى وبشر بها أبو بكر وهو بآخر رمق .

وقعة مرج الصفر

قال خليفة : كانت لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الأولى والأمير خالد بن سعيد .

وقال سعيد بن عبد العزيز : التقوا على النهر عند الطاحونة فقتلت الروم يومئذ حتى جرى النهر وطحنت طاحونتها بدمائهم فأنزل النصر .

[١] وقتلت يومئذ أم حكيم سبعة من الروم بعمود فسطاطها .

خلافة عمر بن الخطاب « رضي الله عنه »

فأول ما فعل عمر عزل خالد بن الوليد عن إمرة أمراء الشام وأمَّر عليهم أبا عبيدة بن الجراح ، وكتب إليه بعهده .

عمر بن الخطاب « رضي الله عنه » (ع)

ابن نُفيل ، أمير المؤمنين ، أبو حفص القرشي العدوي ، الفاروق . أمه حنتمة بنت هشام المخزومية ، أخت أبي جهل . أسلم في السنة السادسة من النبوة ، وله سبع وعشرون سنة .

روى عنه علي وابن مسعود وابن عباس وأبو هريرة ، وخلق سواهم .

وعن عبد الله بن عمر قال : كان أبي أبيض تعلوه حمرة ، طوالًا أصلع ، أشيب .

وقال أبو رجاء العطاردي : كان طويلًا جسيماً شديد الصلع ، شديد الحمرة ، في عارضيه خفة ، وسَبَلته كبيرة وفي أطرافها صهبة[1] ، إذا حزبه أمر فتلها .

وقال سماك : كان عمر يسرع في مشيته .

[١] ويروى عن عبد الله بن كعب بن مالك قال : كان عمر يأخذ بيده اليمنى أذنه اليسرى ويثب على فرسه فكأنما خلق على ظهره .

[٢] وعن ابن عمر وغيره ـ من وجوه جيدة ـ أن النبي ﷺ قال : « اللهمَّ أعزَّ الإسلام بعمر بن الخطاب » .

[٣] قال عكرمة : لم يزل الإسلام في اختفاء حتى أسلم عمر .

[٤] وقال سعيد بن جبير : ﴿ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] نزلت في عمر خاصة .

---

(١) السبلة : طرف الشارب ، والصهبة : سواد في حمرة .

(٢) التحريم : ٤ .

[١] وقال ابن مسعود : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر .

[٢] عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لي وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الأرض ، فوزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل ، ووزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر » .

قلت : حديث ابن عباس حسن .

[٣] عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « اقتدوا باللَّذَيْنِ من بعدي أبي بكر وعمر » .

[٤] وقال محمد بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إيهاً يا ابن الخطاب فوالذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجّاً[١] إلّا سلك فجاً غير فجك » .

[٥] وعن عائشة ، أن النبي ﷺ قال : « إن الشيطان يفرق من عمر » .

[٦] وقال زر : كان ابن مسعود يخطب ويقول : إني لأحسب الشيطان يفرق من عمر أن يُحدث حدثاً فيرده ، وإني أحسب عمر بين عينيه ملك يسدده ويقومه .

[٧] وقالت عائشة : قال رسول الله ﷺ : « قد كان في الأمم مُحَدَّثون[٢] فإن يكن في أمتي أحد فعمر بن الخطاب » .

وقال أنس : قال عمر : وافقت ربي في ثلاث : في مقام إبراهيم ، وفي الحجاب ، وفي قوله : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ ﴾[٣] .

[٨] وقال ابن عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بينما أنا نائم أتيت بقدح من لبن فشربت منه حتى إني لأرى الري يجري في أظفاري ، ثم أعطيت فضلي

---

(١) قلت : هو الطريق .

(٢) قال ابن وهب : ملهمون .

(٣) التحريم : ٥ .

عمر » قالوا : فما أوَّلت ذلك ؟ قال « العلم » .

[١] وقال أبو سعيد : قال رسول الله ﷺ : « بينما أنا نائم رأيت الناس يُعرضون عليَّ وعليهم قُمُصٌ ، منها ما يبلغ الثُّدَيَّ ، ومنها ما يبلغ دون ذلك ، ومر عليَّ عمر عليه قميص يجره » ، قالوا : ما أَوَّلت ذلك يا رسول الله . قال : « الدين » .

[٢] وقال أنس : قال رسول الله ﷺ : « أرحم أمتي أبو بكر ، وأشدها في دين الله عمر » .

[٣] وقال أبو هريرة ، عن النبي ﷺ : « بينا أنا نائم رأيتني في الجنة ، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لعمر : فذكرت غيرة عمر ، فوليت مدبراً » .

قال : فبكى عمر وقال : « بأبي أنت يا رسول الله ، أعليك أغار ؟! » .

[٤] قال علي رضي عنه بالكوفة على منبرها في ملأ من الناس أيام خلافته : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، وخيرها بعد أبي بكر عمر ، ولو شئت أن أسمي الثالث لسميته . وهذا متواتر عن علي رضي الله عنه ، فقبَّح الله الرافضة .

وقالت عائشة : قال أبو بكر : ما على ظهر الأرض رجل أحب إليَّ من عمر .

وقالت عائشة : دخل ناس على أبي بكر في مرضه فقالوا : يسعك أن تولي علينا عمر وأنت ذاهب إلى ربك فماذا تقول له ؟ قال : أقول : وليت عليهم خيرهم .

وقال الزهري : أول من حيا عمر بأمير المؤمنين المغيرة بن شعبة .

[٥] وقال القاسم بن محمد : قال عمر : « ليعلم من ولي هذا الأمر من بعدي أن سيريده عنه القريب والبعيد ، إني لأقاتل الناس عن نفسي قتالًا ، ولو علمت أن أحداً أقوى عليه مني لكنت أن أقدم فتضرب عنقي أحب إليّ من أن أَلِيه » .

[١] وعن ابن عباس قال : لما ولي عمر قيل له : لقد كاد بعض الناس أن يحيد هذا الأمر عنك ، قال : وما ذاك ؟ قال : يزعمون أنك فظ غليظ ، قال : الحمد لله الذي ملأ قلبي لهم رُحْماً وملأ قلوبهم لي رعباً .

[٢] وقال الأحنف بن قيس : سمعت عمر يقول : لا يحل لعمر من مال الله إلا حلتين : حلة للشتاء وحلة للصيف ، وما حج به واعتمر ، وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم ، ثم أنا رجل من المسلمين .

وقال عروة : حج عمر بالناس إمارته كلها .

وقال ابن عمر : ما رأيت أحداً بعد رسول الله ﷺ من حين قبض أجدّ ولا أجود من عمر .

[٣] وقال الزهري : فتح الله الشام كله على عمر ، والجزيرة ومصر والعراق كله ، ودون الدواوين قبل أن يموت بعام ، وقسم على الناس فيئهم .

وقال ابن مسعود : إذا ذكر الصالحون فحَيْهلاً بعمر ، إن عمر أعلمنا بكتاب الله وأفقهنا في دين الله .

وقال ابن مسعود : لو أنّ عِلْمَ عمر وضع في كفة ميزان ووضع عِلْم أحياء الأرض في كفة لرجح عِلْمُ عمر بعلمهم .

عن حذيفة قال : كان علم الناس مدسوساً في جحر مع عمر .

[٤] وقال ابن عمر : تعلم عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة ، فلما تعلمها نحر جزوراً .

قال معاوية : أما أبو بكر فلم يُرد الدنيا ولم تُرده ، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يُردها ، وأما نحن فتمرغنا فيها ظهراً لبطن .

[٥] وقال عكرمة بن خالد وغيره : إن حفصة ، وعبد الله ، وغيرهما كلموا عمر فقالوا : لو أكلت طعاماً طيباً كان أقوى لك على الحق ، قال : أكُلُّكُم على هذا الرأي ؟ قالوا : نعم ، قال : قد علمتُ نصحكم ولكني تركت صاحِبَيَّ على جادة فإن تركتُ جادتهما لم أدركهما في المنزل .

[١] قال : وأصاب الناسَ سَنةٌ[١] فما أكل عامئذ سمناً ولا سميناً .

[٢] وقال ابن أبي مُلَيْكة : كلم عُتبة بن فرقد عمر في طعامه ، فقال : ويحك آكل طيباتي في حياتي الدنيا وأستمتع بها .

[٣] وقال مبارك ، عن الحسن : دخل عمر على ابنه عاصم وهو يأكل لحماً فقال : ما هذا ؟ قال : قَرِمنا[٢] إليه ، قال : أو كلما قَرِمت إلى شيء أكلته ؟! كفى بالمرء سرفاً أن يأكل كل ما اشتهى .

[٤] وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن جده ، قال عمر : لقد خطر على قلبي شهوة السمك الطري ، قال : ورحّل « يرفأ »[٣] راحلته وسار أربعاً مقبلًا ومدبراً ، واشترى مكتلًا فجاء به ، وعمد إلى الراحلة فغسلها ، فأتى عمر فقال : انطلق حتى أنظر إلى الراحلة ، فنظر وقال : نسيت أن تغسل هذا العرق الذي تحت أذنها ، عذبت بهيمة في شهوة عمر ، لا والله لا يذوق عمر مكتلك .

[٥] وقال قتادة : كان عمر يلبس ، وهو خليفة ، جبة من صوف مرقوعاً بعضها بأدم ، ويطوف في الأسواق على عاتقه الدِّرَّة يؤدب الناس بها ، ويمر بالنّكث[٤] والنوى فيلقطه ويلقيه في منازل الناس لينتفعوا به .

[٦] قال أنس : رأيت بين كتفي عمر أربع رقاع في قميصه .

[٧] وقال أبو عثمان النهدي : رأيت على عمر إزاراً مرقوعاً بأدم .

[٨] وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة : حججت مع عمر ، فما ضرب فسطاطاً[٥] ولا خباء ، كان يلقي الكساء والنطع على الشجرة ويستظل تحته .

---

(١) السنة : المجاعة .
(٢) القَرَم : شدة الشهوة إلى اللحم .
(٣) قلت : هو غلام عمر .
(٤) النكث : الغزل المنقوض .
(٥) خيمة .

[١] عن أبي الغادية الشامي قال : قدم عمر الجابية[١] على جمل أوْرَقَ تلوح صلعته للشمس ، ليس عليه قَلَنْسوة ولا عمامة ، قد طبق رجليه بين شعبتي الرحل بلا ركاب ، ووطاؤه كساء أنبجاني من صوف وهو فراشه إذا نزل ، وحقيبته محشوة ليفاً ، وهي إذا نزل وساده ، وعليه قميص من كرابيس[٢] قد دسم وتخرق جيبه ، فقال : ادعوا لي رأس القرية ، فدعوه له فقال : اغسلوا قميصي وخيطوه وأعيروني قميصاً ، فأتي بقميص كتان فقال : ما هذا ؟ قيل : كتان ، قال : وما الكتان ؟ فأخبروه فنزع قميصه فغسلوه ورقعوه ولبسه ، فقال له رأس القرية : أنت ملك العرب وهذه بلاد لا تصلح فيها الإبل ، فأُتي ببرذون[٣] فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحل ، فلما سار هُنَيْهَة قال : احبسوا ، ما كنت أظن الناس يركبون الشيطان ، هاتوا جملي .

[٢] وقال المطلب بن زياد ، عن عبد الله بن عيسى : كان في وجه عمر بن الخطاب خطَّان أسودان من البكاء .

[٣] وعن الحسن قال : كان عمر يمر بالآية من ورده فيسقط حتى يعاد منها أياماً .

[٤] وقال أنس : خرجت مع عمر فدخل حائطاً فسمعته يقول وبيني وبينه جدار : عمر بن الخطاب أمير المؤمنين والله لتتقين بُنَيّ الخطاب أو ليعذبنك .

[٥] وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة : رأيت عمر أخذ تبنة من الأرض فقال : يا ليتني هذه التبنة ، ليتني لم أك شيئاً ، ليت أمي لم تلدني .

[٦] وقال عبيد الله بن عمر بن حفص : إن عمر بن الخطاب حمل قربة على عنقه ، فقيل له في ذلك فقال : إن نفسي أعجبتني فأردت أن أذلها .

[٧] عن ابن عمر قال : شهدت جلولاء فابتعت من المغنم بأربعين ألفاً ،

---

(١) الجابية : قرية في حوران .
(٢) أي قطن .
(٣) قلت : البرذون : بين البغلة والحمار .

فلما قدمت على عمر قال : أرأيت لو عُرِضتُ على النار فقيل لك : افتده ، أكنت مفتديَّ به ؟ قلت : والله ما من شيء يؤذيك إلا كنت مُفتديك منه ، قال : كأني شاهد الناس حين تبايعوا فقالوا : عبد الله بن عمر صاحب رسول الله ﷺ وابن أمير المؤمنين وأحب الناس إليه ، وأنت كذلك فكان أن يرخصوا عليك أحب إليهم من أن يغلوا عليك ، وإني قاسم مسؤول وأنا معطيك أكثر ما ربح تاجر من قريش : لك ربح الدرهم درهم ، قال : ثم دعا التجار فابتاعوا منه بأربعمائة ألف درهم ، فدفع إلي ثمانين ألفاً وبعث بالباقي إلى سعد بن أبي وقاص ليقسمه .

[١] وقال الحسن : رأى عمر جارية تطيش هزالًا فقال : من هذه ؟ فقال عبد الله : هذه إحدى بناتك . قال : وأي بناتي هذه ؟ قال : بنتي ، قال : ما بلغ بها ما أرى ؟ قال : عملك ! لا تنفق عليها ، قال : إني ما أعول ولدك فاسع عليهم أيها الرجل .

[٢] وقال محمد بن سيرين : قدم صهر لعمر عليه فطلب أن يعطيه عمر من بيت المال فانتهره عمر وقال : أردت أن ألقى الله ملكاً خائناً ! فلما كان بعد ذلك أعطاه من صلب ماله عشرة آلاف درهم .

[٣] قال حذيفة : كنا جلوساً عند عمر فقال : أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة ؟ قلت : أنا . قال : إنك لجريء ، قلت : فتنة الرجل في أهله وماله وولده تكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال : ليس عنها أسألك ولكن الفتنة التي تموج موج البحر ، قلت : ليس عليك منها بأس إن بينك وبينها باباً مغلقاً ، قال : أيكسر أم يفتح ؟ قلت : بل يكسر ، قال : إذاً لا يغلق أبداً ، قلنا لحذيفة : أكان عمر يعلم من الباب ؟ قال : نعم ، كما يعلم أن دون غد الليلة ، إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط ، فسأله مسروق : من الباب ؟ قال : الباب عمر .

[٤] وقال إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف : أتي عمر بكنوز كسرى ، فقال عبد الله بن الأرقم : أتجعلها في بيت المال حتى تقسمها ؟ فقال عمر : لا والله

لا آويها إلى سقف حتى أمضيها ، فوضعها في وسط المسجد وباتوا يحرسونها ، فلما أصبح كشف عنها فرأى من الحمراء والبيضاء ما يكاد يتلألأ ، فبكى فقال له أبي : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ، فوالله إن هذا ليوم شكر ويوم سرور ! فقال : ويحك إن هذا لم يُعطَه قوم إلا ألقيت بينهم العداوة والبغضاء .

[١] وقال أسلم مولى عمر : استعمل عمر مولى له على الحمى فقال : يا هُنَيّ اضمم جناحك عن المسلمين واتق دعوة المظلوم فإنها مستجابة ، وأدخل رب الصُّريمة والغُنَيمة ، وإياي ونعم ابن عوف ونعم ابن عفان فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعان إلى زرع ونخل ، وإن رب الصُّريمة والغُنَيمة إن تهلك ماشيتهما يأتني ببنيه فيقول : يا أمير المؤمنين ! أفتاركهم أنا لا أبا لك ! فالماء والكلأ أيسر عليّ من الذهب والفضة ، وَايْمُ الله إنهم ليرون أني قد ظلمتهم ، إنها لبلادهم قاتلوا عليها في الجاهلية وأسلموا عليها في الإسلام ، والذي نفسي بيده لولا المال الذي أحمد عليه في سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شبراً .

[٢] وقال أبو هريرة : دوَّن عمر الديوان ، وفرض للمهاجرين الأولين خمسة آلاف خمسة آلاف ، وللأنصار أربعة آلاف أربعة آلاف ، ولأمهات المؤمنين اثني عشر ألفاً اثني عشر ألفاً .

[٣] وقال أنس : تقرقر بطن عمر من أكل الزيت عام الرمادة ، كان قد حرم نفسه السمن ، قال : فنقر بطنه بإصبعه وقال : إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس .

[٤] عن زيد بن أسلم ، عن أبيه قال : لما كان عام الرمادة جاءت العرب من كل ناحية فقدموا المدينة ، فكان عمر قد أمر رجالًا يقومون بمصالحهم ، فسمعته يقول ليلة : « أحصوا من يتعشى عندنا » فأحصوهم من القابلة فوجدوهم سبعة آلاف رجل ، وأحصوا الرجال المرضى والعيالات فكانوا أربعين ألفاً . ثم بعد أيام بلغ الرجال والعيال ستين ألفاً ، فما برحوا حتى أرسل الله السماء ، فلما مطرت رأيت عمر قد وكل بهم من يخرجونهم إلى البادية ويعطونهم قوتاً وحملاناً إلى باديتهم ، وكان قد وقع فيهم الموت فأراه مات ثلثاهم ، وكانت قدور عمر

تقوم إليها العمال من السحر يعملون العصائد .

[١] وعن أسلم قال : كنا نقول : لو لم يرفع الله المَحْلَ عام الرمادة لظننا أن عمر يموت[١] .

[٢] وقال سفيان الثوري : من زعم أن علياً كان أحق بالولاية من أبي بكر وعمر فقد خطَّأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار .

[٣] وقال شريك : ليس يقدِّم علياً على أبي بكر وعمر أحد فيه خير .

[٤] وقال أبو أسامة : تدرون من أبو بكر وعمر ؟ هما أبو الإسلام وأمه .

[٥] وقال الحسن بن صالح بن حي : سمعت جعفر بن محمد الصادق يقول : أنا بريء ممن ذكر أبا بكر وعمر إلا بخير .

[٦] وقال الليث بن سعد : استخلف عمر فكان فتح دمشق ، ثم كان اليرموك سنة خمس عشرة ، ثم كانت الجابية سن ست عشرة ، ثم كانت إيلياء وسَرْغ لسنة سبع عشرة ؛ ثم كان فتح باب لِيُون وقَيْسارية بالشام ، وموت هرقل سنة عشرين ، وفيها فتحت مصر ، وسنة إحدى وعشرين فتحت نهاوند ، وفتحت الإسكندرية سنة اثنتين وعشرين . وفيها فتحت إصطخر وهمذان . ثم غزا عمرو بن العاص أطرابلس المغرب . وغزوة عَمُورية وأمير مصر وهب بن عمير الجمحي ، وأمير أهل الشام أبو الأعور سنة ثلاث وعشرين .

ثم قتل عمر مصدرَ الحاج في آخر السنة .

[٧] وقال سعيد بن المسيب : إن عمر لما نفر من منى أناخ بالأبطح ، ثم كوم كومة من بطحاء واستلقى ورفع يديه إلى السماء ، ثم قال : « اللهم كبرت سني وضعفت قوتي ، وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط » فما انسلخ ذو الحجة حتى طعن فمات .

[٨] عن عمر أنه قال : اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في

---

(١) زاد ابن سعد في طبقاته ٣/ ٣١٥ : هماً بأمر المسلمين » .

بلد رسولك .

[١] وقال مَعْدان بن أبي طلحة اليَعْمُريّ : خطب عمر يوم الجمعة وذكر نبي الله وأبا بكر ثم قال : رأيت كأن ديكاً نقرني نقرة أو نقرتين ، وإني لا أراه إلا حضور أجلي ، وإن قوماً يأمروني أن أستخلف وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته فإن عجل بي أمرٌ فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض .

وقال الزهري : كان عمر لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة حتى كتب المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاماً عنده صِنَعاً[1] ، ويستأذنه أن يدخل المدينة ويقول : إن عنده أعمالًا كثيرة فيها منافع للناس : إنه حداد نقاش نجار ، فأذن له أن يرسل به ، وضرب عليه المغيرة مائة درهم في الشهر ، فجاء إلى عمر يشتكي شدة الخراج ، قال : ما خراجك بكثير . فانصرف ساخطاً يتذمر ، فلبث عمر ليالي ثم دعاه فقال : ألم أُخْبَر أنك تقول : لو شاء لصنعتُ رَحى تطحن بالريح ؟ فالتفت إلى عمر عابساً وقال : لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها ، فلما ولى قال عمر لأصحابه : أوعدني العبد آنفاً . ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذي رأسين نصابه في وسطه ، فكمن في زاوية من زوايا المسجد في الغلس .

وقال عمرو بن ميمون الأودي : إن أبا لؤلؤة عبد المغيرة طعن عمر بخنجر له رأسان وطعن معه اثني عشر رجلًا ، مات منهم ستة ، فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوباً ، فلما اغتم فيه قتل نفسه .

وقال عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : جئت من السوق وعمر يتوكأ عليّ ، فمر بنا أبو لؤلؤة ، فنظر إلى عمر نظرة ظننت أنه لولا مكاني لبطش به ، فجئت بعد ذلك إلى المسجد الفجر فإني لبين النائم واليقظان ، إذ سمعت عمر يقول : قتلني الكلبُ ، فماج الناس ساعة ، ثم إذا قراءة عبد الرحمن بن عوف .

---

(١) صنعاً : حاذق .

عن أبي رافع : كان أبو لؤلؤة عبداً للمغيرة يصنع الأرحاء ، وكان المغيرة يستغله كل يوم أربعة دراهم ، فلقي عمر فقال : يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل علي فكلمه ، فقال : أحسن إلى مولاك ، ومن نية عمر أن يكلم المغيرة فيه ، فغضب وقال : يسع الناس كلهم عدله غيري ، وأضمر قتله واتخذ خنجراً وشحذه وسمه ، وكان عمر يقول : « أقيموا صفوفكم » قبل أن يكبر ، فجاء فقام حذاءه في الصف وضربه في كتفه وفي خاصرته ، فسقط عمر ، وطعن ثلاثة عشر رجلًا معه ، فمات منهم ستةٌ ، وحمل عمر إلى أهله وكادت الشمس أن تطلع ، فصلى ابن عوف بالناس بأقصر سورتين ، وأُتي عمر بنبيذ فشربه فخرج من جرحه فلم يتبين ، فسقوه لبناً فخرج من جرحه فقالوا : لا بأس عليك ، فقال : إن يكن بالقتل بأس فقد قتلت ، فجعل الناس يثنون عليه ويقولون : كنت وكنت ، فقال : أما والله وددت أني خرجت منها كفافاً لا علي ولا لي وأن صحبة رسول الله ﷺ سلمت لي .

[١] وأثنى عليه ابن عباس ، فقال : لو أن لي طلاعَ الأرض ذهباً[1] افتديت به من هول المطلع ، وقد جعلتها شورى في عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد . وأمر صهيباً أن يصلي بالناس ، وأجَّل الستة ثلاثاً .

وعن عمرو بن ميمون أن عمر قال : « الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام » ثم قال لابن عباس : أنت وأبوك تحبان أن يكثر العلوج بالمدينة ، وكان العباس أكثرهم رقيقاً .

ثم قال : يا عبد الله ! انظر ما علي من الدين ، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوها ، فقال : إن وفى مال آل عمر فأده من أموالهم وإلا فاسأل في بني عدي فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ، اذهب إلى أم المؤمنين عائشة فقل : يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيه ، فذهب إليها فقالت : كنت أريده ـ تعني المكان ـ لنفسي ولأوثرنه اليوم على نفسي ، قال : فأتى عبد الله فقال : قد أذنت

(١) أي ما يملأ الأرض ذهباً حتى يطلع عنها ويسيل .

لك ، فحمد الله .

ثم جاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسترنها ، فلما رأيناها قمنا ، فمكثت عنده ساعة ، ثم استأذن الرجال فولجت داخلة ثم سمعنا بكاءها . وقيل له : أوصِ يا أمير المؤمنين واستخلف ، قال : ما أرى أحداً أحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ ، فسمى الستة وقال : يشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له من الأمر شيء ـ كهيئة التعزية له ـ فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك وإلا فليستعن به أيكم ما أمر ، فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة .

[١] ثم قال : أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله ، وأوصيه بالمهاجرين والأنصار ، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً ، في مثل ذلك من الوصية .

فلما توفي خرجنا به نمشي ، فسلم عبد الله بن عمر وقال : عمر يستأذن ، فقالت عائشة : أدخلوه ، فأدخل فوضع هناك مع صاحبيه .

[٢] فلما فُرغ من دفنه ورجعوا اجتمع هؤلاء الرهط ، فقال عبد الرحمن بن عوف : اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم ، فقال الزبير : قد جعلت أمري إلى علي وقال سعد : قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن ، وقال طلحة : قد جعلت أمري إلى عثمان ، قال : فخلا هؤلاء الثلاثة فقال عبد الرحمن : أنا لا أريدها فأيكما تبرأ من هذا الأمر نجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه وليحرصن على صلاح الأمة ، قال : فسكت الشيخان علي وعثمان ، فقال عبد الرحمن ، اجعلوه إلي والله علي لا آلو عن أفضلكم ، قالا : نعم ، فخلا بعلي وقال : لك من القدم في الإسلام والقرابة ما قد علمت ، الله عليك لئن أمّرتك لتعدلن ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن ، قال : ثم خلا بالآخر فقال له كذلك ، فلما أخذ ميثاقهما بايع عثمان وبايعه علي .

[٣] وقال المسْوَر بن مَخْرَمَة : لما أصبح عمر من الغد ـ وهو مطعون ـ فزّعوه فقالوا : الصلاة ، ففزع وقال : نعم ولاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة ،

فصلى وجرحه ، يثغب دماً .

[١] عن ابن عباس قال : لما طعن عمر جاء كعب فقال : والله لئن دعا أمير المؤمنين ليبقينه الله وليرفعنه لهذه الأمة حتى يفعل كذا وكذا ، حتى ذكر المنافقين فيمن ذكر ، قال : قلت : أَبَلِّغه ما تقول ؟ قال : ما قلت إلا وأنا أريد أن تبلغه ، فقمت وتخطيت الناس حتى جلست عند رأسه فقلت : يا أمير المؤمنين ، فرفع رأسه فقلت : إن كعباً يحلف بالله لئن دعا أمير المؤمنين ليبقينه الله وليرفعنه لهذه الأمة قال : ادعُوا كعباً ، فدعوه فقال : ما تقول ؟ قال : أقول كذا وكذا ، فقال : لا والله لا أدعو الله ولكن شقي عمر إن لم يغفر الله له .

وعن ابن عباس قال : كان أبو لؤلؤة مجوسياً .

[٢] وقال سالم بن عبد الله ، عن أبيه قال : دخل على عمر عثمان ، وعلي ، والزبير ، وابن عوف ، وسعد ـ وكان طلحة غائباً ـ فنظر إليهم ثم قال : إني قد نظرت لكم في أمر الناس فلم أجد عند الناس شقاقاً إلا أن يكون فيكم ، ثم قال : إن قومكم إما يؤمروا أحدكم أيها الثلاثة ، فإن كنت على شيء من أمر الناس يا عثمان فلا تحملن بني أبي مُعَيْط على رقاب الناس ، وإن كنت على شيء من أمر الناس يا علي فلا تحملن أقاربك على رقاب الناس . قوموا فتشاوروا وأمّروا أحدكم ، فقاموا يتشاورون .

[٣] قال ابن عمر : فدعاني عثمان مرة أو مرتين ليدخلني في الأمر ولم يسمني عمر ، ولا والله ما أحب أني كنت معهم علماً منه بأنه سيكون من أمرهم ما قال أبي ، والله لقلما سمعته حول شفتيه بشيء قط إلا كان حقاً ، فلما أكثر عثمان دعائي قلت : ألا تعقلون ! تؤمّرون وأمير المؤمنين حي ! فوالله لكأنما أيقظتهم ، فقال عمر : أمهلوا فإن حدث بي حدث فليصل للناس صهيب ثلاثاً ثم اجمعوا في اليوم الثالث أشراف الناس وأمراء الأجناد فأمروا أحدكم ، فمن تأمر عن غير مشورة فاضربوا عنقه .

[٤] وقال ابن عمر : كان رأس عمر في حجري فقال : ضع خدي على

الأرض ، فوضعته فقال : ويل لي وويل أمي إن لم يرحمني ربي .

[١] عن ابن عمر قال : وضع عمر بين القبر والمنبر ، فجاء علي حتى قام بين الصفوف فقال : رحمة الله عليك ، ما من خلق أحب إلي من أن ألقى الله بصحيفته بعد صحيفة النبي ﷺ من هذا المسجى عليه ثوبه . وقد روي نحوه من عدة وجوه عن علي .

وقال معدان بن أبي طلحة : أصيب عمر يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة ، وكذا قال زيد بن أسلم وغير واحد .

وقال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص : إنه دفن يوم الأحد مستهل المحرم .

عن جرير بن عبد الله سمع معاوية يخطب ويقول : مات رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين ، وأبو بكر وعمر وهما ابنا ثلاث وستين .

الهُرْمُزان صاحب تُسْتَر

هو من جملة الملوك الذين تحت يد يزدجرد[١] .

[٢] قال ابن سعد : بعثه أبو موسى الأشعري إلى عمر ومعه اثنا عشر نفساً من العجم ، عليهم ثياب الديباج ومناطق الذهب وأساورة الذهب ، فقدموا بهم المدينة ، فعجب الناس من هيئتهم ، فدخلوا فوجدوا عمر في المسجد نائماً متوسداً رداءه ، فقال الهرمزان : هذا ملككم ؟ قالوا : نعم ، قال : أما له حاجب ولا حارس ؟! قالوا : الله حارسه حتى يأتيه أجله ، قال : هذا الملك الهَنيّ .

[٣] فقال عمر : الحمد لله الذي أذل هذا وشيعته بالإسلام ، ثم قال للوفد : تكلموا ، فقال أنس بن مالك : الحمد لله الذي أنجز وعده وأعز دينه وخذل من حادَّه ، وأورثنا أرضهم وديارهم ، وأفاء علينا أبناءهم وأموالهم ، فبكى عمر ثم

---

(١) قلت : أي كسرى .

قال للهرمزان : كيف رأيت صنيع الله بكم ؟ فلم يجبه ، قال : مالك لا تتكلم ؟ قال : أكلام حي أم كلام ميت ؟ قال : أوَلستَ حياً ؟! فاستسقى الهرمزان ، فقال عمر : لا يجمع عليك القتل والعطش ، فأتوه بماء فأمسكه ، فقال عمر : اشرب لا بأس عليك ، فرمى بالإناء وقال : يا معشر العرب كنتم وأنتم على غير دين نستعبدكم ونقتلكم وكنتم أسوأ الأمم عندنا حالًا ، فلما كان الله معكم لم يكن لأحد با لله طاقة ، فأمر عمر بقتله ، فقال : أو لم تؤمِّني؟! قال : وكيف ؟ قال : قلت لي : تكلم لا بأس عليك ، وقلت : اشرب لا أقتلك حتى تشربه ، فقال الزبير وأنس : صدق ، فقال عمر : قاتله الله أخذ أماناً وأنا لا أشعر ، فنزع ما كان عليه ، فقال عمر لسراقة بن مالك بن جعشم وكان أسود نحيفاً : البس سواري الهرمزان ، فلبسهما ولبس كسوته .

[١] فقال عمر : الحمد لله الذي سلب كسرى وقومه حليهم وكسوتهم وألبسها سراقة ، ثم دعا الهرمزان إلى الإسلام فأبى ، فقال علي بن أبي طالب : يا أمير المؤمنين فرق بين هؤلاء ، فحمل عمر الهرمزان وجُفَيْنة وغيرهما في البحر وقال : اللهم اكسر بهم ، وأراد أن يسير بهم إلى الشام فكُسِر بهم ولم يغرقوا فرجعوا فأسلموا ، وفرض لهم عمر ألفين ألفين ، وسمى الهرمزان عَرْفَطة .

قال المِسْور بن مَخْرَمة : رأيت الهُرْمُزان بالرَّوْحاء مُهِلًا بالحج مع عمر . وقال علي بن زيد بن جدعان ، عن أنس قال : ما رأيت رجلًا أخمص بطناً ولا أبعد ما بين المنكبين من الهرمزان .

عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري : أخبرني سعيد بن المسيب ، أن عبد الرحمن بن أبي بكر ـ ولم تجرب عليه كذبة قط ـ قال : انتهيت إلى الهرمزان وجفينة وأبي لؤلؤة وهم نَجِيٌّ فتبعتهم ، وسقط من بينهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه ، فقال عبد الرحمن : فانظروا بم قتل عمر ، فنظروا فوجدوه خنجراً على تلك الصفة ، فخرج عبيد الله بن عمر بن الخطاب مشتملًا على السيف حتى أتى الهرمزان فقال : اصحبني ننظر فرساً لي ـ وكان بصيراً بالخيل ـ فخرج يمشي بين يديه فعلاه عبيد الله بالسيف ، فلما وجد حد السيف قال : لا إله إلا الله

فقتله . ثم أتى جُفَينة وكان نصرانياً ، فلما أشرف له علاه بالسيف فصلب بين عينيه . ثم أتى بنت أبي لؤلؤة جارية صغيرة تدَّعي الإسلام فقتلها ، وأظلمت الأرض يومئذ على أهلها ، ثم أقبل بالسيف صلتاً في يده وهو يقول : والله لا أترك في المدينة سبياً إلا قتلته وغيرهم ، كأنه يعرض بناس من المهاجرين، فجعلوا يقولون له : ألق السيف ، فأبى ، ويهابونه أن يقربوا منه ، حتى أتاه عمرو بن العاص فقال : أعطني السيف يا ابن أخي ، فأعطاه إياه . ثم ثار إليه عثمان فأخذ برأسه فتناصيا[١] حتى حجز الناس بينهما . فلما ولي عثمان قال : أشيروا علي في هذا الذي فتق في الإسلام ما فتق ، فأشار المهاجرون بقتله ، وقال جماعة الناس : قتل عمر بالأمس ويتبعونه ابنه اليوم ! أبعد الله الهرمزان وجُفَينة ، فقال عمرو : إن الله قد أعفاك أن يكون هذا الأمر في ولايتك فاصفح عنه[٢] ، فتفرق الناس على قول عمرو ، وودى عثمان الرجلين والجارية .

سنة أربع عشرة

فيها فتحت دمشق ، وحمص ، وبعلبك ، والبصرة ، والأُبُلَّة ، ووقعة جسر أبي عُبَيْد بأرض نجران ، ووقعة فِحْل بالشام ، في قول ابن الكلبي .

[١] وقال ابن جرير : سار أبو عبيدة إلى دمشق ، وخالد على مقدمة الناس ، وقد اجتمعت الروم على رجل يقال له باهان بدمشق ، وكان عمر عزل خالداً واستعمل أبا عبيدة على الجميع ، والتقى المسلمون والروم فيما حول دمشق ، فاقتتلوا قتالًا شديداً ، ثم هزم الله الروم ، ودخلوا دمشق وغلقوا أبوابها ، ونازلها المسلمون حتى فتحت ، وأعطوا الجزية ، وكان قدم الكتاب على أبي عبيدة بإمارته وعزل خالد فاستحيا أبو عبيدة أن يقرىء خالداً الكتاب حتى فتحت دمشق وجرى الصلح على يد خالد ، وكتب الكتاب باسمه ، فلما صالحت دمشق لحق

---

(١) أي تواخذا بالنواصي .

(٢) قلت : أي أن عثمان لم يكن قد تولى الخلافة حين صنع عبيد الله ما صنع ، ولم يكن أمر المسلمين قد اجتمع على إمام بعد .

باهان صاحب الروم بهرقل .

وقيل : كان حصار دمشق أربعة أشهر .

[١] وكان صاحب دمشق قد جاءه مولود فصنع طعاماً واشتغل يومئذ ، وخالد ابن الوليد الذي لا ينام ولا يُنيم قد هيأ حبالًا كهيئة السلالم ، فلما أمسى هيأ أصحابه وتقدم هو والقعقاع بن عمرو ، ومذعور بن عدي وأمثالهم وقالوا : إذا سمعتم تكبيرنا على السور فارْقَوْا إلينا وانهدوا الباب . قال : فلما انتهى خالد ورفقاؤه إلى الخندق رموا بالحبال إلى الشُّرف ، وعلى ظهورهم القِرَب التي سبحوا بها في الخندق ، وتسلق القعقاع ومذعور فلم يدعا أُحْبُولة حتى أثبتاها في الشُّرَف ، وكان ذلك المكان أحصن مكان بدمشق ، فاستوى على السور خلق من أصحابه ثم كبروا ، وانحدر خالد إلى الباب فقتل البوابين ، وثار أهل البلد إلى مواقفهم لا يدرون ما الشأن ، فتشاغل أهل كل جهة بما يليهم ، وفتح خالد الباب ودخل أصحابه عنوة ، وقد كان المسلمون دعوهم إلى الصلح والمشاطرة فأبوا ، فلما رأوا البلاء بذلوا الصلح ، فأجابهم من يليهم ، وقبلوا فقالوا : ادخلوا وامنعونا من أهل ذاك الباب ، فدخل أهل كل باب بصلح مما يليهم ، فالتقى خالد والأمراء في وسط البلد ، هذا استعراضاً ونهباً ، وهؤلاء صلحاً فأجروا ناحية خالد على الصلح بالمقاسمة ، وكتب إلى عمر بالفتح .

وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يجهز جيشاً إلى العراق نجدة لسعد بن أبي وقاص ، فجهز له عشرة آلاف عليهم هاشم بن عتبة ، وبقي بدمشق يزيد بن أبي سفيان في طائفة من أمداد اليمن .

وقعة الجسر

كان عمر قد بعث في سنة ثلاث عشرة جيشاً ، عليهم أبو عبيد الثقفي ، فلقي جابان في سنة ثلاث عشرة ـ وقيل في أول سنة أربع عشرة ـ بين الحيرة والقادسية ، فهزم الله المجوس .

ثم إن كسرى بعث ذا الحاجب ، وعقد له على اثني عشر ألفاً ، ودفع إليه

سلاحاً عظيماً ، والفيل الأبيض ، فبلغ أبا عبيد مسيرهم ، فعبر الفرات إليهم وقطع الجسر فنزل ذو الحاجب قس الناطف ، وبينه وبين أبي عبيد الفرات ، فأرسل إلى أبي عبيد : إما أن تعبر إلينا وإما أن نعبر إليك . فقال أبو عبيد : نعبر إليكم ، وعبر فالتقوا في مضيق في شوال ، وقدم ذو الحاجب جالينوس معه الفيل ، فاقتتلوا أشد قتال وضرب أبو عبيد مشفر الفيل ، وضرب أبو محجن عرقوبه .

ويقال أن ابا عبيد لما رأى الفيل قال :

يا لك من ذي أربع ما أكبرك لأضربن بالحسام مِشْفَرك

[١] وقال : إن قتلت فعليكم ابني جبر ، فإن قتل فعليكم حبيب بن ربيعة أخو أبي محجن ، فإن قتل فعليكم أخي عبد الله ، فقتل جميع الأمراء ، واستحر القتل في المسلمين فطلبوا الجسر ، وأخذ الراية المثنى بن حارثة فحماهم في جماعة ثبتوا معه .

[٢] وسبقهم إلى الجسر عبد الله بن يزيد فقطعه ، وقال : قاتلوا عن دينكم ، فاقتحم الناس الفرات ، فغرق ناس كثير ، ثم عقد المثنى الجسر وعبر الناس .

واستشهد يومئذ فيما قال خليفة ألف وثمانمئة ، وقال سيف : أربعة آلاف ما بين قتيل وغريق .

وعن الشعبي قال : قتل أبو عبيد في ثمانمئة من المسلمين .

حمص

وقال أبو مسهر : حدثني عبد الله بن سالم قال : سار أبو عبيدة إلى حمص في اثني عشر ألفاً ، منهم من السَّكُون ستة آلاف ، فافتتحها .

سنة خمس عشرة

في أولها افتتح شُرَحْبيل بن حَسَنَة الأردن كلها عنوة إلا طبرية فإنهم صالحوه ، وذلك بأمر أبي عبيدة .

يوم اليرموك

كانت وقعة مشهورة ، نزلت الروم اليرموك في رجب سنة خمس عشرة ، فكانوا في أكثر من مائة ألف ، وكان المسلمون ثلاثين ألفاً ، وأمراء الإسلام أبو عبيدة ، ومعه أمراء الأجناد ، وكانت الروم قد سلسلوا أنفسهم الخمسة والستة في السلسلة لئلا يفروا ، فلما هزمهم الله جعل الواحد يقع في وادي اليرموك فيجذب من معه في السلسلة حتى ردموا الوادي ، واستووا فيما قيل بحافتيه ، فداستهم الخيل وهلك خلق لا يحصون .

واستشهد يومئذ جماعة من أمراء المسلمين .

[١] عن ابن المسيب ، عن أبيه قال : خمدت الأصوات يوم اليرموك ، والمسلمون يقاتلون الروم إلا صوت رجل يقول : « يا نصر الله اقترب ، يا نصر الله اقترب » فرفعت رأسي فإذا هو أبو سفيان بن حرب تحت راية ابنه يزيد بن أبي سفيان » .

[٢] عن جبير بن الحويرث : حضرت اليرموك فلا أسمع إلا نَقْفَ الحديد إلا أني سمعت صائحاً يقول : يا معشر المسلمين يوم من أيام الله أبلوا لله فيه بلاءً حسناً ، فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه[١] .

[٣] وعن مالك بن عبد الله قال : ما رأيت أشرف من رجل رأيته يوم اليرموك

---

(١) ذكر الأزدي في « فتوح الشام » ص٢٢٠ أن أبا سفيان تجهز في أحسن الجهاز وأحسن الهيئة ثم خرج ، وصحبه أناس من المسلمين كثير ، كانوا خرجوا متطوعين ، فأحسن أبو سفيان صحبتهم حتى قدموا على جماعة المسلمين . فلما كان يوم خرج المسلمون إلى عدوهم باليرموك كان أبو سفيان يومئذ يسير في الناس ، ويقف على أهل كل راية ، وعلى كل جماعة ، فيحرض الناس ويحضهم ، ويعظهم ، ويقول : إنكم يا معشر المسلمين أصبحتم بإزاء عدو ، كثير عددهم ، شديد عليكم حنقهم ، وقد وترتموهم في أنفسهم ونسائهم ، وأولادهم ، وأموالهم ، وبلادهم ، فلا والله لا ينجيكم منهم اليوم وتبلغون رضوان الله إلا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة ، فامتنعوا بسيوفكم ، وتقربوا بها إلى خالقكم ، ولتكن هي الحصون التي تلجون إليها ، وبها تمنعون . وقاتل أبو سفيان يومئذ قتالاً شديداً ، وأبلى بلاءً حسناً .

إنه خرج إليه علج فقتله ، ثم آخر فقتله ، ثم آخر فقتله ، ثم انهزموا وتبعهم وتبعته ، ثم انصرف إلى خباء عظيم له فنزل ، فدعا بالجفان ودعا من حوله ، قلت : من هذا ؟ قالوا : عمرو بن معدي كرب .

وقعة القادسية

كانت وقعة القادسية بالعراق في آخر السنة فيما بلغنا ، وكان على الناس سعد ابن أبي وقاص ، وعلى المشركين رستم ومعه الجالينوس ، وذو الحاجب .

وقال أبو وائل : كان المسلمون ما بين السبعة إلى الثمانية آلاف ، ورستم في ستين ألفاً ، وقيل : كانوا أربعين ألفاً ، وكان معهم سبعون فيلًا .

وذكر المدائني أنهم اقتتلوا قتالًا شديداً ثلاثة أيام في آخر شوال ، وقيل في رمضان ، فقتل رستم وانهزموا ، وقيل إن رستم مات عطشاً وتبعهم المسلمون فقتل جالينوس وذو الحاجب .

وعن أبي وائل قال : رأيتني أعبر الخندق مشياً على الرجال ، قتل بعضهم بعضاً .

وقال المدائني : ثم سار سعد من القادسية يتبعهم ، فأتاه أهل الحيرة فقالوا : نحن على عهدنا .

وقطع سعد الفرات ، ثم سار سعد بالناس حتى نزل المدائن فافتتحها .

[١] قال : ولما فتح الله على المسلمين غنائم رستم ، وقدمت على عمر الفتوح من الشام والعراق جمع المسلمين فقال : ما يحل للوالي من هذا المال ؟ قالوا : أما لخاصته فقوته وقوت عياله لا وَكْسَ ولا شطط ، وكسوته وكسوتهم ، ودابتان لجهاده وحوائجه ، وحمالته إلى حجه وعمرته ، والقسم بالسوية أن يعطي أهل البلاد على قدر بلائهم ، ويرم أمور المسلمين ويتعاهدهم .

وفي القوم علي رضي الله عنه ساكت ، فقال : ما تقول يا أبا الحسن ؟ فقال : ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف .

[١] وقيل إن عمر قعد على رزق أبي بكر حتى اشتدت حاجته ، فأرادوا أن يزيدوه فأبى عليهم .

سنة ست عشرة

وقال الطبري : فيها دخل المسلمون مدينة بَهْرَسِير[١] وافتتحوا المدائن[٢] ، فهرب منها يَزْدَجِرْد بن شَهْرِيار[٣] .

[٢] فلما نزل سعد بن أبي وقاص بهرسير ـ وهي المدينة التي فيها منزل كسرى ـ طلب السفن ليعبر بالناس إلى المدينة القصوى ، فلم يقدر على شيء منها ، ووجدهم قد ضموا السفن ، فبقي أياماً حتى أتاه أعلاج فدلوه على مخاضة ، فأبى ، ثم إنه عزم له أن يقتحم دجلة ، فاقتحمها المسلمون وهي زائدة ترمي بالزبد ، ففجِيء أهلَ فارس أمر لم يكن لهم في حساب ، فقاتلوا ساعة ثم انهزموا وتركوا جمهور أموالهم ، واستولى المسلمون على ذلك كله ، ثم أتوا إلى القصر الأبيض ، وبه قوم قد تحصنوا ثم صالحوا .

[٣] وقيل إن الفرس لما رأوا اقتحام المسلمين الماء تحيروا وقالوا : والله ما نقاتل الإنس ولا نقاتل إلا الجن ، فانهزموا .

ونزل سعد القصر الأبيض ، واتخذ الإيوان مصلى ، وإن فيه لتماثيل جص فما حركها .

ولما انتهى إلى مكان كسرى أخذ يقرأ ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ ﴾[٤] الآية .

---

(١) هي من نواحي سواد بغداد ، قرب المدائن .

(٢) قال ياقوت : وإنما سمتها العرب المدائن لأنها سبع مدائن بين كل مدينة إلى الأخرى مسافة قريبة أو بعيدة .

(٣) قلت : هو كسرى الفرس .

(٤) الدخان : ٢٥ .

قالوا : وأتم سعد الصلاة يوم دخلها ، وذلك أنه أراد المقام بها ، وكانت أول جمعة جمعت بالعراق ، وذلك في صفر سنة ست عشرة .

قال الطبري : قسم سعد الفيء بعد ما خمسه ، فأصاب الفارس اثنا عشر ألفاً ، وكل الجيش كانوا فرساناً .

[١] وقسم سعد دور المدائن بين الناس وأُوطِنوها ، وجمع سعد الخمس وأدخل فيه كل شيء من ثياب كسرى وحليه وسيفه . وقال للمسلمين : هل لكم أن تطيب أنفسكم عن أربعة أخماس هذا القِطْف فنبعث به إلى عمر ، فيضعه حيث يرى ويقع من أهل المدينة موقعاً ؟ قالوا : نعم ، فبعثه على هيئته . وكان ستين ذراعاً في ستين ذراعاً بساطاً واحداً مقدار جَرِيب[١] ، فيه طرق كالصور ، وفصوص كالأنهار ، وخلال ذلك كالدر ، وفي حافاته كالأرض المزروعة ، والأرض كالمُبْقلة بالنبات في الربيع من الحرير على قضبات الذهب ونوّاره[٢] بالذهب والفضة ونحوه . فقطعه عمر وقسمه بين الناس فأصاب علياً قطعة منه فباعها بعشرين ألفاً .

[٢] واستولى المسلمون في ثلاثة أعوام على كرسي مملكة كسرى ، وعلى كرسي مملكة قيصر ، وعلى أمَّيْ بلادهما ، وغنم المسلمون غنائم لم يسمع بمثلها قط من الذهب والجوهر والحرير والرقيق والمدائن والقصور . فسبحان الله العظيم الفتاح .

[٣] وكان لكسرى وقيصر ومن قبلهما من الملوك في دولتهم دهر طويل ، فأما الأكاسرة والفرس وهم المجوس فملكوا العراق والعجم نحواً من خمسمائة سنة ، فأول ملوكهم دارا ، وطال عمره فيقال إنه بقي في الملك مائتي سنة ، وعدة ملوكهم خمسة وعشرون نفساً ، منهم امرأتان ، وكان آخر القوم يَزْدَجِرد الذي هلك في زمان عثمان ، وممن ملك منهم ذو الأكتاف سابور ، عقد له بالأمر

---

(١) الجريب : ثلاثة آلاف وستمائة ذراع .

(٢) قلت : النُوّار : الورد .

وهو في بطن أمه ، لأن أباه مات وهذا حمل ، فقال الكهان : هذا يملك الأرض ، فوضع التاج على بطن الأم ، وكتب منه إلى الآفاق وهو بعد جنين ، وهذا شيء لم يسمع بمثله قط ، وإنما لقب بذي الأكتاف لأنه كان ينزع أكتاف من غضب عليه ، وهو الذي بنى الإيوان الأعظم وبنى نَيْسابور وبنى سِجِستان .

[١] ومن متأخري ملوكهم أنوشروان ، وكان حازماً عاقلًا ، كان له اثنا عشر ألف امرأة وسرية ، وخمسون ألف دابة ، وألف فيل إلا واحداً ، وولد نبينا ﷺ في زمانه ، ثم مات أنوشروان وقت موت عبد المطلب ، ولما استولى الصحابة على الإيوان أحرقوا سترة ، فطلع منه ألف ألف مثقال ذهباً .

وقعة جَلُولاء

قال ابن جرير الطبري : فقتل الله من الفرس مائة ألف ، جللت[١] القتلى المجال وما بين يديه وما خلفه ، فسميت جلولاء .

وعن أبي وائل قال : سميت جلولاء لما تجللها من الشر .

وقال سيف : كانت سنة سبع عشرة .

وقال خليفة بن خياط : هرب يَزْدَجِرْد بن كسرى من المدائن إلى حلوان ، فكتب إلى الجبال ، فجمع العساكر ووجههم إلى جَلُولاء ، فاجتمع له جمع عظيم ، عليهم خُرَّزاد بن خَرْهرمز ، فكتب سعد إلى عمر يخبره ، فكتب إليه : أقم مكانك ووجه إليه جيشاً ، فإن الله ناصرك ومتمم وعده ، فعقد لابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، فالتقوا ، فجال المسلمون جولة ، ثم هزم الله المشركين ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وحوى المسلمون عسكرهم وأصابوا أموالًا عظيمة وسبايا ، فبلغت الغنائم ثمانية عشر ألف ألف .

وجاء عن الشعبي أن فَيْء جَلُولاء قسم على ثلاثين ألف ألف .

وقال أبو وائل : سميت جلولاء « فتح الفتوح » .

---

(١) قلت : أي غطّت .

وقال ابن جرير : أقام هشام بن عتبة بجَلُولاء ، وخرج القعقاع بن عمرو في آثار القوم إلى خانقين ، فقتل من أدرك منهم ، وقُتل مهران وأفلت الفَيْرُزان ، فلما بلغ ذلك يزدجرد تقهقر إلى الري .

وفيما جهز سعد جنداً فافتتحوا تِكْريت واقتسموها ، وخمسوا الغنائم ، فأصاب الفارسَ منها ثلاثة آلاف درهم .

وفيها سار عمر إلى الشام وافتتح بيت المقدس ، وقدم إلى الجابية ـ وهي قَصَبة حَوْران ـ فخطب بها خطبة مشهورة متواترة عنه .

قِنَّسرين

وفيها بعث أبو عبيدة عمرو بن العاص ـ بعد فراغه من اليرموك ـ إلى قِنَّسْرِين ، فصالح أهل حلب ومَنبِج وأنطاكية على الجزية ، وفتح سائر بلاد قِنَّسرِين عَنوَة .

وفيها افتتحت سَرُوج والرُّها على يدي عياض بن غَنْم .

وفيها قال ابن الكلبي : سار أبو عبيدة وعلى مقدمته خالد بن الوليد ، فحاصر أهل إيلياء ، فسألوه الصلح على أن يكون عمر هو الذي يعطيهم ذلك ويكتب لهم أماناً ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر ، فقدم عمر إلى الأرض المقدسة فصالحهم وأقام أياماً ثم شخص إلى المدينة .

[١] وفيها كُتب التاريخ في شهر ربيع الأول ، فعن ابن المسيب قال : أول من كتب التاريخ عمر بن الخطاب لسنتين ونصف من خلافته ، فكتب لست عشرة من الهجرة بمشورة علي رضي الله عنهما .

سنة عشرين

فيها فتحت مصر .

روى خليفة ـ عن غير واحد ـ وغيره أن فيها كتب عمر إلى عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر ، فسار وبعث عمر الزبير بن العوام مدداً له ، ومعه بُسْر بن

أرطأة ، وعُمَير بن وهب الجُمَحي ، وخارجة بن حذافة العَدَوي . حتى أتى باب أليون[١] فتحصنوا ، فافتتحها عُنْوةً وصالحه أهل الحصن ، وكان الزبير أول من ارتقى سور المدينة ثم تبعه الناس ، فكلم الزبير عمراً أن يقسمها بين من افتتحها ، فكتب عمرو إلى عمر ، فكتب عمر : أكلة ، وأكلات خير من أكلة ، أَقِرُّوها[٢] .

وعن عمرو بن العاص أنه قال على المنبر : لقد قعدت مقعدي هذا وما لأحد من قبط مصر عليّ عهد ولا عقد ، إن شئت قتلت ، وإن شئت بعت ، وإن شئت خمست إلا أهل أنطابلس[٣] فإن لهم عهداً نفي به .

وعن علي بن رباح قال : المغرب كله عنوة .

وعن ابن عمر قال : افتتحت مصر بغير عهد . وكذا قال جماعة .

وقال يزيد بن أبي حبيب : مصر كلها صلح إلا الإسكندرية .

غزوة تُسْتَر

قال الوليد بن هشام القَحْذَمي ، عن أبيه وعمه أن أبا موسى لما فرغ من الأهواز ، ونهر تيرى ، وجُنْدَيسابور ، ورامَهُرْمُز ، توجه إلى تُسْتَر ، وكتب يستمد عمر ، فكتب إلى عمار بن ياسر أن أمده ، فكتب إلى جرير وهو بحُلوان أن سر إلى أبي موسى ، فسار في ألف فأقاموا أشهراً ، ثم كتب أبو موسى إلى عمر : إنهم لم يغنوا شيئاً ، فكتب عمر إلى عمار أن سر بنفسك ، وأمده عمر من المدينة .

[١] وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال : أقاموا سنة أو نحوها ، فجاء رجل من تُسْتَر وقال لأبي موسى : أسألك أن تحقن دمي وأهل بيتي ومالي ، على أن أدلك على المدخل ، فأعطاه ، قال : فابغني إنساناً سابحاً ذا عقل يأتيك بأمر بين ، فأرسل معه مجزأة بن ثور السدوسي ، فأدخل من مدخل الماء ينبطح على

---

(١) حصن بقرب الفسطاط بمصر القديمة .

(٢) قلت : أي نهاهم أن يقسموها بين من افتتحها ، وأمرهم بتحصيل خراجها فقط .

(٣) قلت : مدينة من مدن ليبيا قديماً .

بطنه أحياناً ويحبو حتى دخل المدينة وعرف طرقها ، وأراه العلج الهرمزان صاحبها ، فهم بقتله ثم ذكر قول أبي موسى : « لا تسبقني بأمر » ورجع إلى أبي موسى ، ثم إنه دخل بخمسة وثلاثين رجلًا كأنهم البط يسبحون ، وطلعوا إلى السور وكبروا ، واقتتلوا هم ومن عندهم على السور ، فقتل مجزأة ، وفتح أولئك البلد ، فتحصن الهرمزان في برج .

[١] وقال قتادة ، عن أنس : لم تصلَّ يومئذ الغداة[1] حتى انتصف النهار فما يسرني بتلك الصلاة الدنيا كلها .

وعن الشعبي قال : حاصرهم ابو موسى ثمانية عشر شهراً ، ثم نزل الهرمزان على حكم عمر ، فقال حميد ، عن أنس : نزل الهرمزان على حكم مصر .

[٢] فلما انتهينا إليه ـ يعني إلى عمر بالهرمزان ـ قال : تكلم ، قال : كلام حي أو كلام ميت ؟ قال : تكلم فلا بأس ، قال : إنا وإياكم معشر العرب ما خلى الله بيننا وبينكم ، كنا نغصبكم ونقتلكم ونفعل ، فلما كان الله معكم لم يكن لنا بكم يدان ، قال : يا أنس ما تقول ؟ قلت : يا أمير المؤمنين تركت بعدي عدداً كثيراً وشوكة شديدة فإن تقتله ييأس القوم من الحياة ويكون أشد لشوكتهم ، قال : فأنا أستحيي قاتل البراء ومجزأة بن ثور ؟ فلما أحسست بقتله قلت : ليس إلى قتله سبيل ، قد قلتَ له : تكلم بلا بأس ، قال : لتأتيني بمن يشهد به غيرك ، فلقيت الزبير فشهد معي ، فأمسك عنه عمر ، وأسلم الهرمزان ، وفرض له عمر ، وأقام بالمدينة .

وفيها هلك هِرَقل عظيم الروم ، وهو الذي كتب إليه النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام ، وقام بعده ابنه قسطنطين .

[٣] وفيها قسم عمر خيبر وأجلى عنها اليهود ، وقسم وادي القرى ، وأجلى يهود نجران إلى الكوفة .

---

(١) قلت : هي صلاة الفجر .

سنة إحدى وعشرين

عن عياش بن عباس القتباني ، وعن غير واحد أن عمراً سار من فلسطين بالجيش من غير أمر عمر إلى مصر فافتتحها ، فعتب عمر عليه إذ لم يعلمه ، فكتب يستأذن عمر بمناهضة أهل الإسكندرية ، فسار عمرو في سنة إحدى وعشرين ، وخلف على الفسطاط خارجة بن حذافة العدوي ، فالتقى القبط فهزمهم بعد قتال شديد ، ثم التقاهم عند الكريَوْن[1] فقاتلوا قتالًا شديداً ، ثم انتهى إلى الإسكندرية ، فأرسل إليه المقوقس يطلب الصلح والهدنة منه ، فأبى عليه ، ثم جد في القتال حتى دخلها بالسيف ، وغنم ما فيها من الروم ، وجعل فيها عسكراً عليهم عبد الله بن حذافة السهمي ، وبعث إلى عمر بالفتح ، وبلغ الخبر قسطنطين بن هرقل فبعث خصياً له يقال له منويل في ثلاثمئة مركب حتى دخلوا الإسكندرية ، فقتلوا بها المسلمين ونجا من هرب ، ونقض أهلها ، فزحف إليها عمرو في خمسة عشر ألفاً ، ونصب عليها المجانيق ، وجد في القتال حتى فتحها عَنْوةً ، وخرب جدرها ، رؤي عمرو يخرب بيده .

نهاوند

[١] عن السائب بن الأقرع قال : زحف للمسلمين زحف لم يُرَ مثله قط ، رجف له أهل ماه وأهل أصبهان وأهل همذان والري وقومس ونهاوند وأَذَرْبَيجان ، قال : فبلغ ذلك عمر فشاور المسلمين ، فقال علي رضي الله عنه : أنت أفضلنا رأياً وأعلمنا بأهلك . فقال : لأستعملن على الناس رجلًا يكون لأول أسنّة يلقاها ، يا سائب اذهب بكتابي هذا إلى النعمان بن مُقَرِّن ، فليسر بثلثي أهل الكوفة ، وليبعث إلى أهل البصرة ، وأنت على ما أصابوا من غنيمة ، فإن قتل النعمان فحذيفة الأمير ، فإن قتل حذيفة فجرير بن عبد الله ، فإن قتل ذلك الجيش فلا أراك .

---

(١) اسم موضع قرب الإسكندرية .

[١] وروى علقمة بن عبد الله المزني ، عن مَعْقل بن يسار أن عمر شاور الهرمزان في أصبهان وفارس وأَذْرَبَيجان بأيتهن يبدأ ، فقال : يا أمير المؤمنين أصبهان الرأس ، وفارس وأذربيجان الجناحان ، فإن قطع أحد الجناحين مال الرأس بالجناح الآخر ، وإن قطعت الرأس وقع الجناحان ، فدخل عمر المسجد فوجد النعمان بن مقرن يصلي فسرحه وسرح معه الزبير بن العوام ، وحذيفة بن اليمان ، والمغيرة بن شعبة ، وعمرو بن معديكرب ، والأشعث بن قيس ، وعبد الله بن عمر ، فسار حتى أتى نهاوند ، فذكر الحديث إلى أن قال النعمان لما التقى الجمعان : إن قتلت فلا يُلْوِي عليّ أحد ، وإني داعٍ بدعوة فأمِّنوا .

[٢] ثم دعا : اللهم ارزقني الشهادة بنصر المسلمين والفتح عليهم ، فأمَّن القوم وحملوا فكان النعمان أول صريع .

وروى خليفة بإسناد قال : التقوا بنهاوند يوم الأربعاء فانكشفت مجنبة المسلمين اليمنى شيئاً ، ثم التقوا يوم الخميس فثبتت الميمنة وانكشف أهل الميسرة ، ثم التقوا يوم الجمعة فأقبل النعمان يخطبهم ويحضهم على الحملة ففتح الله عليهم .

[٣] وقال ابن جرير في وقعة نهاوند : لما انتهى النعمان إلى نهاوند في جيشه طرحوا له حَسَك[١] الحديد ، فبعث عيوناً فساروا لا يعلمون بالحَسَك فزجر بعضهم فرسه وقد دخل في حافره حَسَكة ، فلم يبرح ، فنزل فإذا الحَسَك ، فأقبل بها ، وأخبر النعمان ، فقال النعمان : ما ترون ؟ فقالوا : تقهقر حتى يروا أنك هارب فيخرجوا في طلبك ، فتأخر النعمان ، وكنست الأعاجم الحسك وخرجوا في طلبه فعطف عليهم النعمان وعبأ كتائبه وخطب الناس وقال : إن أصبت فعليكم حذيفة ، فإن أصيب فعليكم جرير البجلي ، وإن أصيب فعليكم قيس بن مكشوح ، فوجد المغيرة في نفسه إذ لم يستخلفه ، قال : وخرجت الأعاجم وقد شدوا أنفسهم في السلاسل لئلا يفروا ، وحمل عليهم المسلمون ، فَرُمِيَ النعمان

(١) قلت : هو الشوك .

بسهم فقتل ، ولفه أخوه سويد بن مقرِّن في ثوبه وكتم قتله حتى فتح الله تعالى عليهم ، ودفع الراية إلى حذيفة .

وقتل الله ذا الحاجب[١] يعني مقدمهم ، وافتتحت نهاوند ، ولم يكن للأعاجم بعد ذلك جماعة .

[١] وفيها سار عمرو بن العاص إلى بَرْقة فافتتحها ، وصالحهم على ثلاثة عشر ألف دينار .

سنة ثلاث وعشرين

فيها : بينما عمر رضي الله عنه يخطب إذ قال : « يا ساريةَ الجبل » وكان عمر قد بعث سارية بن زنيم الدئلي إلى فسا ودارا بَجِرد[٢] فحاصرهم ، ثم إنهم تداعوا وجاؤوه من كل ناحية والتقوا بمكان ، وكان إلى جهة المسلمين جبل لو استندوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد ، فلجؤوا إلى الجبل ، ثم قاتلوهم فهزموهم . وأصاب سارية الغنائم فكان منها سفط جوهر ، فبعث به إلى عمر فرده وأمره أن يقسمه بين المسلمين ، وسأل النجّاب[٣] أهلُ المدينة عن الفتح وهل سمعوا شيئاً ، فقال : نعم : « يا سارية الجبل ، الجبلَ » وقد كدنا نهلك ، فلجأنا إلى الجبل ، فكان النصر .

---

(١) هو : مردانشاه الملقب ببهمن . وسمي ذا الحاجب لأنه كان يعضب حاجبيه ليرفعهما عن عينيه كبراً .
ويقال إن اسمه رستم .

(٢) هي في بلاد فارس .

(٣) هو الذي أرسله سارية مبشراً بالفتح .

عثمان بن عفان
رضي الله عنه

ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، أمير المؤمنين ، أبو عمرو ، وأبو عبد الله ، القرشي الأموي .

روى عن النبي ﷺ ، وعن الشيخين .

قال الداني : عرض القرآن على النبي ﷺ ، وعرض عليه أبو عبد الرحمن السلمي ، والمغيرة بن أبي شهاب ، وأبو الأسود ، وزر بن حبيش .

روى عنه بنوه : أبان ، وسعيد ، وعمرو وخلق سواهم .

أحد السابقين الأولين ، وذو النورين ، وصاحب الهجرتين ، وزوج الابنتين ، قدم الجابية مع عمر . وتزوج رقيّة بنت رسول الله ﷺ قبل المبعث ، فولدت له عبد الله ، وبه كان يكنى ، وبابنه عمرو .

وأمه أروى بنت كريز بن حبيب بن عبد شمس ، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم ، فهاجر برقية إلى الحبشة ، وخَلَّفه النبي ﷺ عليها في غزوة بدر ليداويها في مرضها ، فتوفيت بعد بدر بليال وضرب له النبي ﷺ بسهمه من بدر وأجره ، ثم زوجه بالبنت الأخرى أم كلثوم .

ومات ابنه عبد الله ، وله ست سنين سنة أربع من الهجرة .

وكان عثمان فيما بلغنا لا بالطويل ولا بالقصير ، حسن الوجه ، كبير اللحية ، أسمر اللون ، عظيم الكراديس ، بعيد ما بين المنكبين ، يخضب بالصفرة ، وكان قد شد أسنانه بالذهب .

وعن عبد الله بن حزم قال : رأيت عثمان ، فما رأيت ذكراً ولا أنثى أحسن وجهاً منه .

وقال أبو معشر السندي : قتل لثماني عشرة خلت من ذي الحجة يوم الجمعة ، زاد غيره فقال : بعد العصر ، ودفن بالبقيع بين العشاءين ، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة . وهو الصحيح .

وعن عبد الله بن فروخ قال : شهدته ودفن في ثيابه بدمائه ، ولم يغسل . رواه عبد الله بن أحمد في « زيادات المسند » وقيل : صلى عليه مروان ، ولم يغسل .

[١] وروي أن نائلة بنت الفرافصة كانت مليحة الثغر ، فكسرت ثناياها بحجر ، وقالت : والله لا يَجْتَلِيكُن أحد بعد عثمان ، فلما قدمت على معاوية الشام ، خطبها ، فأبت .

سنة أربع وعشرين

خلافة عثمان رضي الله عنه :

وقال حُميد بن عبد الرحمن بن عوف : أخبرني المِسْوَر أن النفر الذين ولاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا فقال عبد الرحمن : لست بالذي أنافسكم هذا الأمر ولكن إن شئتم اخترت لكم منكم ، فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن ، قال : لا يخلوا به رجل ذو رأي فيعدل بعثمان أحداً وذكر الحديث إلى أن قال : فتشهد وقال : أما بعد يا علي فإني قد نظرت في الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان فلا تجعلن على نفسك سبيلًا ، ثم أخذ بيد عثمان فقال : نبايعك على سنة الله وسنة رسوله وسنة الخليفتين بعده ، فبايعه عبد الرحمن بن عوف وبايعه المهاجرون والأنصار .

سنة ثلاثين

قال سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، أن زيد ابن خارجة توفي زمن عثمان ، فسجي بثوب ثم إنهم سمعوا جلجلة في صدره ، ثم تكلم فقال : أحمد أحمد في الكتاب الأول ، صدق صدق أبو بكر الضعيف في نفسه القوي في أمر الله في الكتاب الأول ، صدق صدق عمر القوي الأمين في

الكتاب الأول ، صدق صدق عثمان على منهاجهم ، مضت أربع سنين وبقيت سنتان ، أتت الفتن وأكل الشديد الضعيف ، وقامت الساعة ، وسيأتيكم خبر بئر أريس وما بئر أريس .

قال ابن المسيب : ثم هلك رجل من بني خطمة ، فسجي بثوب فسمعوا جلجلة في صدره ، ثم تكلم فقال : إن أخا بني الحارث بن الخزرج صدق صدق .

قال ابن عبد البر : هذا هو الذي تكلم بعد الموت لا يختلفون في ذلك ، وذلك أنه غشي عليه وأسري بروحه ، ثم راجعته نفسه فتكلم بكلام في أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، ثم مات لوقته .

سنة خمس وثلاثين

وفيها حج بالناس وأقام الموسمَ عبدُ الله بن عباس .

وفيها مقتل عثمان رضي الله عنه : خرج المصريون وغيرهم على عثمان وصاروا إليه ليخلعوه من الخلافة .

[١] قال إسماعيل بن أبي خالد : لما نزل أهل مصر الجحفة ، وأتوا يعاتبون عثمان صعد عثمان المنبر فقال : جزاكم الله يا أصحاب محمد عني شراً : أذعتم السيئة وكتمتم الحسنة ، وأغريتم بي سفهاء الناس ، أيكم يذهب إلى هؤلاء القوم فيسألهم ما نقموا وما يريدون ؟ قال ذلك ثلاثاً ولا يجيبه أحد .

فقام علي فقال : أنا ، فقال عثمان : أنت أقربهم رحماً ، فأتاهم فرحبوا به ، فقال : ما الذي نقمتم عليه ؟ قالوا : نقمنا أنه محا كتاب الله ـ يعني كونه جمع الأمة على مصحف ـ وحمى الحمى ، واستعمل أقرباءه ، وأعطى مروان مائة ألف ، وتناول أصحاب رسول الله ﷺ .

[٢] قال : فرد عليهم عثمان : أما القرآن فمن عند الله ، إنما نهيتكم عن

الاختلاف فاقرأوا على أي حرف شئتم ، وأما الحمى فوالله ما حميته لإبلي ولا لغنمي ، وإنما حميته لإبل الصدقة . وأما قولكم : إني أعطيت مروان مائة ألف فهذا بيت مالهم فليستعملوا عليه من أحبوا ، وأما قولكم : تناول أصحاب رسول الله ﷺ فإنما أنا بشر أغضب وأرضى ، فمن ادعى قبلي حقاً أو مظلمة فها أنذا ، فإن شاء قَوَداً وإن شاء عفواً . فرضي الناس واصطلحوا ودخلوا المدينة .

وقال محمد بن سعد : قالوا رحل من الكوفة إلى المدينة : الأشتر النخعي ـ واسمه مالك بن الحارث ـ ، ويزيد بن مكفف ، وثابت بن قيس ، وكُمَيْل بن زياد ، وزيد وصعصعة ابنا صوحان ، والحارث الأعور ، وجُندُب بن زهير ، وأصفر بن قيس ، يسألون عثمان عزل سعيد بن العاص عنهم . فرحل سعيد أيضاً إلى عثمان فوافقهم عنده ، فأبى عثمان أن يعزله ، فخرج الأشتر من ليلته في نفر ، فسار عشراً إلى الكوفة واستولى عليها وصعد المنبر فقال : هذا سعيد بن العاص قد أتاكم يزعم أن السَّواد بستان لأغيلمَة من قريش ، والسواد مساقط رؤوسكم ومراكز رماحكم ، فمن كان يرى لله عليه حقاً فلينهض إلى الجَرَعة[1] ، فخرج الناس فعسكروا بالجرعة ، فأقبل سعيد حتى نزل العُذَيب[2] ، فجهز الأشتر إليه ألف فارس مع يزيد بن قيس الأرحبي ، وعبد الله بن كنانة العبدي ، فقال : سيروا وأزعجاه وألحقاه بصاحبه ، فإن أبى فاضربا عنقه ، فأتَياه ، فلما رأى منهما الجد رجع .

[١] وصعد الأشتر منبر الكوفة وقال : يا أهل الكوفة ما غضبت إلا لله ولكم ، وقد وليت أبا موسى الأشعري صلاتكم ، وحذيفة بن اليمان فيئكم ، ثم نزل وقال : يا أبا موسى اصعد ، فقال : ما كنت لأفعل ، ولكن هلموا فبايعوا لأمير المؤمنين وجددوا البيعة في رقابكم ، فأجابه الناس . وكتب إلى عثمان بما

---

(١) الجرعة : بالتحريك ، موضع قرب الكوفة ، المكان الذي فيه سهولة ورمل .

(٢) ماء بين القادسية والمغيثة .

صنع ، فأعجب عثمان ، فقال عتبة بن الوعل شاعر الكوفة :

تصدق علينا يابن عفان واحتسب وأَمِّـر علينـا الأشعـري ليـاليـا

فقال عثمان : نعم وشهوراً وسنين إن عشت ، وكان الذي صنع أهل الكوفة يستعيد أول وهن دخل على عثمان حين اجتُرىء عليه .

وعن الزهري قال : ولي عثمان ، فعمل ست سنين لا ينقم عليه الناس شيئاً ، وإنه لأحب إليهم من عمر ، لأن عمر كان شديداً عليهم ، فلما وليهم عثمان لان لهم ووصلهم ، ثم إنه توانى في أمرهم واستعمل أقرباءه وأهل بيته في الست الأواخر ، وكتب لمروان بخمس مصر أو بخمس إفريقية ، وآثر أقرباءه بالمال ، وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها . واتخذ الأموال ، واستسلف من بيت المال ، وقال : إن ابا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما ، وإني أخذته فقسمته في أقربائي ، فأنكر الناس عليه ذلك .

قلت : ومما نقموا عليه أنه عزل عمير بن سعد عن حمص ، وكان صالحاً زاهداً ، وجمع الشام لمعاوية ، ونزع عمرو بن العاص عن مصر ، وأمّر ابن أبي سرح عليها ، ونزع أبا موسى الأشعري عن البصرة ، وأمر عليها عبد الله بن عامر ، ونزع المغيرة بن شعبة عن الكوفة وأمر عليها سعيد بن العاص .

وممن قام على عثمان محمد بن أبي بكر الصديق ، فسئل سالم بن عبد الله ـ فيما قيل ـ عن سبب خروج محمد ، قال : الغضب والطمع وكان من الإسلام بمكان ، وغره أقوام فطمع ، وكانت له دالة[1] ، ولزمه حق ، فأخذه عثمان من ظهره .

وحج معاوية ، فقيل إنه لما رأى لين عثمان واضطراب أمره قال : انطلق معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك من لا قِبَل لك به ، فإن أهل الشام على الطاعة ، فقال : أنا لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيء وإن كان فيه قطع خيط عنقي ، قال : فأبعث إليك جنداً ، قال : أنا أقتر على جيران رسول الله ﷺ

(١) قلت : الوثوق بمحبة الناس والجرأة عليهم . « القاموس المحيط » : د ل ل .

الأرزاق بجند تساكنهم ! قال : يا أمير المؤمنين والله لتغتالن ولتغزين ، قال : حسبي الله ونعم الوكيل .

وقد كان أهل مصر بايعوا أشياعهم من أهل الكوفة والبصرة وجميع من أجابهم ، واتَّعَدوا يوماً حيث شخص أمراؤهم ، فلم يستقم لهم ذلك ، لكن أهل الكوفة ثار فيهم يزيد بن قيس الأرحبي واجتمع عليه ناس ، وعلى الحرب يومئذ القعقاع بن عمرو ، فأتاه وأحاط الناس بهم فناشدوهم ، وقال يزيد للقعقاع : ما سبيلك عليّ وعلى هؤلاء ، فوالله إني لسامع مطيع ، وإني لازم لجماعتي إلا أني أستعفي من إمارة سعيد ، ولم يظهروا سوى ذلك ، واستقبلوا سعيداً فردوه من الجَرَعة ، واجتمع الناس على أبي موسى فأقره عثمان .

ولما رجع الأمراء لم يكن للسبائي[١] سبيل إلى الخروج من الأمصار ، فكاتبوا أشياعهم أن يتوافروا بالمدينة لينظروا فيما يريدون ، وأظهروا أنهم يأمرون بالمعروف ، وأنهم يسألون عثمان عن أشياء لتطير في الناس ولتحقق عليه ، فتوافوا بالمدينة ، فأرسل عثمان رجلين من بني مخزوم ومن بني زهرة فقال : انظرا ما يريدون ، وكانا ممن ناله من عثمان أدب ، فاصطبرا للحق ولم يضطغنا ، فلما رأوهما أتوهما وأخبروهما ، فقالا : من معكم على هذا من أهل المدينة ؟ قالوا : ثلاثة ، قالا : فكيف تصنعون ؟ قالوا : نريد أن نذكر له أشياء قد زرعناها في قلوب الناس ، ثم نرجع إليهم ونزعم لهم أنا قررناه بها ، فلم يخرج منها ولم يتب ، ثم نخرج كأننا حجاج حتى نقدم فنحيط به فنخلعه ، فإن أبى قتلناه .

فرجعا إلى عثمان بالخبر ، فضحك وقال : اللهم سلم هؤلاء فإنك إن لم تسلمهم شقوا . فأما عمار فحمل على عباس بن أبي لهب وعركه[٢] ، وأما محمد ابن أبي بكر أُعجِب حتى رأى أن الحقوق لا تلزمه ، وأما ابن سارة فإنه يتعرض للبلاء .

---

(١) قلت : هم أصحاب عبد الله بن سبأ اليهودي .

(٢) في تاريخ دمشق « عركه بي » يريد أن حمله ذنبه وتركه .

وأرسل إلى المصريين والكوفيين ، ونادى : الصلاة جامعة ـ وهم عنده في أصل المنبر ـ فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ، وأخبرهم بالأمر ، وقام الرجلان ، فقال الناس : اقتل هؤلاء فإن رسول الله ﷺ قال : « من دعا إلى نفسه أو إلى أحد ، وعلى الناس إمام فعليه لعنة الله ، فاقتلوه » .

وقال عثمان : بل نعفو ونقبل ، ونبصرهم بجهدنا ، إن هؤلاء قالوا : أتم الصلاة في السفر ، وكانت لا تتم ، ألا وإني قدمت بلداً فيه أهلي فأتممت لهذا .

وقالوا : وحميت الحمى ، وإني والله ما حميت إلا ما حُميَ قبلي ، إني قد وُليتُ وإني لأكثر العرب بعيراً وشاء ، فمالي اليوم غير بعيرين لحجتي ، أكذلك ؟ قالوا : نعم .

[١] قال : وقالوا كان القرآن كتباً فتركها إلا واحداً ، ألا وإن القرآن واحد جاء من عند واحد ، وإنما أنا في ذلك تابع هؤلاء ، أكذلك ؟ قالوا : نعم .

وقالوا : إني رددت الحَكَم[١] وقد سيره رسول الله ﷺ إلى الطائف ثم رده ، فرسول الله ﷺ سيره وهو رده ، أفكذلك ؟ قالوا : نعم .

وقالوا : استعملت الأحداث ، ولم أستعمل إلا مُجْتَمَعاً مَرضيّاً[٢] ، وهؤلاء أهل عملي فسلوهم ، وقد ولى من قبلي أحدث منه ، وقيل في ذلك لرسول الله ﷺ أشد مما قيل لي في استعماله أسامة ، أكذلك ؟ قالوا : نعم .

وقالوا : إني أعطيت ابن أبي سرح ما أفاء الله عليه ، وإني إنما نفلته خمس الخمس ، فكان مائة ألف ، وقد نفل مثل ذلك أبو بكر وعمر ، وزعم الجند أنهم يكرهون ذلك فرددته عليهم ، وليس لهم ، أكذلك ؟ قالوا : نعم .

وقالوا : إني أحب أهلي وأعطيهم ، فأما حبهم فلم يوجب جوراً وأما إعطاؤهم ، فإنما أعطيهم من مالي ، ولا أستحل أموال المسلمين لنفسي

---

(١) هو : الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس .

(٢) المجتمع الذي بلغ أشده ، يقال : اجتمع الرجل ، استوت لحيته وبلغ غاية الشباب .

ولا لأحد ، وكان قد قسم ماله وأرضه في بني أمية ، وجعل ولده كبعض من يُعطى .

قال : ورجع أولئك إلى بلادهم وعفا عنهم ، قال : فتكاتبوا وتواعدوا إلى شوال ، فلما كان شوال خرجوا كالحجاج حتى نزلوا بقرب المدينة ، فخرج أهل مصر في أربعمائة ، وأمراؤهم عبد الرحمن بن عُدَيْس البَلوي ، وكنانة بن بِشْر الليثي ، وسُودان بن حُمران السَّكُوني ، وقُتَيْرة السَّكوني ومقدمهم الغافقي بن حرب العَكِّيّ ، ومعهم ابن السوداء[1] .

وخرج أهل الكوفة في نحو عدد أهل مصر ، فيهم زيد بن صُوحان العَبْدي ، والأشتر النَّخَعيّ ، وزياد بن النضر الحارثي ، وعبد الله بن الأصم ، ومقدمهم عمرو بن الأصم .

وخرج أهل البصرة وفيهم حُكَيم بن جَبَلَة ، وذَريح بن عباد العبديّان ، وبشر ابن شريح القيسي ، وابن مُحَرِّش الحنفي ، وعليهم حُرقُوص بن زهير السَّعدي .

فأما أهل مصر فكانوا يشتهون علياً ، وأما أهل البصرة فكانوا يشتهون الزبير ، وأما أهل الكوفة فكانوا يشتهون طلحة ، وخرجوا ولا تشك كل فرقة أن أمرها سيتم دون الأخرى ، حتى كانوا من المدينة على ثلاث ، فتقدم ناس من أهل البصرة فنزلوا ذا خُشُب ، وتقدم ناس من أهل الكوفة فنزلوا الأعْوَص ، وجاءهم أناس من أهل مصر ، ونزل عامتهم بذي المَرْوة ، ومشى فيما بين أهل البصرة وأهل مصر زياد بن النضر ، وعبد الله بن الأصم ليكشفوا خبر المدينة ، فدخلا فلقيا أزواج النبي ﷺ ، وطلحة ، والزبير ، وعلياً ، فقالا : إنما نؤم هذا البيت ، ونستعفي من بعض عمالنا ، واستأذنوهم للناس بالدخول ، فكلهم أبى ونهى فرجعا ، فاجتمع من أهل مصر نفر فأتوا علياً ، ومن أهل البصرة نفر فأتوا الزبير ، ومن أهل الكوفة نفر فأتوا طلحة ، وقال كل فريق منهم : إن بايعنا صاحبنا وإلا كدناهم وفرقنا جماعتهم ، ثم كَرَرْنا حتى نبغتهم .

---

(١) قلت : أي عبد الله بن سبأ اليهودي .

فأتى المصريون علياً وهو في عسكر عند أحجار الزيت ، وقد سرح ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه ، فسلم على علي المصريون ، وعرضوا له ، فصاح بهم وطردهم وقال : لقد علم الصالحون أنكم ملعونون ، فارجعوا لا صحبكم الله ، فانصرفوا ، وفعل طلحة والزبير نحو ذلك .

فذهب القوم وأظهروا أنهم راجعون إلى بلادهم ، فذهب أهل المدينة إلى منازلهم ، فلما ذهب القوم إلى عساكرهم كَرّوا بهم ، وبغتوا أهل المدينة ودخلوها ، وضجوا بالتكبير ، ونزلوا في مواضع عساكرهم ، وأحاطوا بعثمان وقالوا : من كف يده فهو آمن .

ولزم الناس بيوتهم ، فأتى عليّ رضي الله عنه فقال : ما ردكم بعد ذهابكم ؟ فقالوا : وجدنا مع بريد كتاباً بقتلنا ، وقال الكوفيون والبصريون : نحن نمنع إخواننا وننصرهم ، فعلم الناس أن ذلك مكر منهم .

وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمدهم ، فساروا إليه على الصعب والذلول ، فبعث معاوية إليه حبيب بن مسلمة ، وبعث ابن أبي سرح معاوية بن حُدَيْج وسار إليه من الكوفة القَعْقاع بن عمرو .

[١] فلما كان يوم الجمعة صلى عثمان بالناس وخطب فقال : يا هؤلاء الغُزَّاء الله الله ، فوالله إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ ، فامحوا الخطأ بالصواب ، فإن الله لا يمحو السيىء إلا بالحسن ، فقام محمد بن مسلمة فقال : أنا أشهد بذلك ، فأقعده حُكيم بن جَبَلَة ، فقام زيد بن ثابت فقال : ابغني الكتاب ، فثار إليه من ناحية أخرى محمد بن أبي قُتَيْرة فأقعده وتكلم فأفظع ، وثار القوم بأجمعهم ، فحصبوا الناس حتى أخرجوهم ، وحصبوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشياً عليه ، فاحتمل وأدخل الدار .

وكان المصريون لا يطمعون في أحد من أهل المدينة أن ينصرهم إلا ثلاثة ، فإنهم كانوا يراسلونهم ، وهم : محمد بن أبي بكر الصديق ، ومحمد بن جعفر ، وعمار بن ياسر .

قال : واستقتل أناس : منهم زيد بن ثابت ، وأبو هريرة ، وسعد بن مالك ، والحسن بن علي ، ونهضوا لنصرة عثمان ، فبعث هو وطلحة والزبير يعودونه من صرعته ، ثم رجعوا إلى منازلهم .

وقال الواقدي : حدثني ابن جريج وغيره ، عن عمرو ، عن جابر أن المصريين لما أقبلوا يريدون عثمان دعا عثمان محمد بن مسلمة فقال : اخرج إليهم فارددهم وأعطهم الرضا ، وكان رؤساؤهم أربعة : عبد الرحمن بن عُدَيس ، وسُودان بن حُمران ، وعمرو بن الحَمِق الخُزاعي ، وابن النِّبَاع ، فأتاهم ابن مسلمة ، فلم يزل بهم حتى رجعوا ، فلما كانوا بالبُوَيْب رأوا جملًا عليه مِيسَم الصدقة ، فأخذوه ، فإذا غلام لعثمان ، ففتشوا متاعه ، فوجدوا قصبة من رصاص ، فيها كتاب في جوف الإداوة في الماء : إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح أن افعل بفلان كذا ، وبفلان كذا ، من القوم الذين شرعوا في قتل عثمان ، فرجع القوم ثانية ونازلوا عثمان وحصروه .

قال الواقدي : فحدثني عبد الله بن الحارث ، عن أبيه قال : أنكر عثمان أن يكون كتب ذلك الكتاب وقال : فُعل ذلك بلا أمري .

وقال ابن سيرين : إن عثمان بعث إليهم علياً فقال : تُعْطَوْن كتاب الله وتعتبون من كل ما سَخطْتم[1] ، فأقبل معه ناس من وجوههم ، فاصطلحوا على خمس : على أن المنفي يُقلب[2] ، والمحروم يُعطى ، ويُوفَّر الفَيء ، ويُعدل في القَسْم ، ويُستعمل ذو الأمانة والقوة ، كتبوا ذلك في كتاب ، وأن يردوا ابن عامر إلى البصرة وأبا موسى إلى الكوفة .

وقال أبو الأشهب : عن الحسن قال : لقد رأيتهم تحاصبوا في المسجد حتى ما أبصر السماء ، وإن رجلًا رفع مصحفاً من حجرات النبي ﷺ ثم نادى : ألم تعلموا أن محمداً قد برىء ممن فرقوا دينهم وكانوا شيعاً .

---

(١) قلت : أي تُرضون مما أغضبكم .

(٢) قلت : أي يرجع .

وقال سلام : سمعت الحسن قال : خرج عثمان يوم الجمعة ، فقام إليه رجل فقال : أسألك كتاب الله ، فقال : ويحك ، أليس معك كتابُ الله ! قال : ثم جاء رجل آخر فنهاه ، وقام آخر ، وآخر ، حتى كثروا ، ثم تحاصبوا حتى لم أر أدِيمَ السماء .

وروى بشر بن شَغاف ، عن عبد الله بن سلام قال : بينما عثمان يخطب ، فقام رجل فنال منه فَوَذَأتُه فاتَّذأ فقال رجل : لا يمنعك مكان ابن سلام أن تسب نَعْثَلًا ، فإنه من شيعته ، فقلت له : لقد قلت القول العظيم في الخليفة من بعد نوح .

وَذَأته : زجرته وقمعته .

وقالوا لعثمان « نَعْثلًا » تشبيهاً له برجل مصري اسمه نَعْثَل كان طويل اللحية .

والنَّعْثَل : الذكر من الضباع ، وكان عمر يشبه بنوح في الشدة .

[١] وقال ابن عمر : بينما عثمان يخطب إذ قام إليه جهجاه الغفاري ، فأخذ من يده العصا فكسرها على ركبته ، فدخلت منها شظية في ركبته ، فوقعت فيها الأكَلَة .

[٢] وقال غيره : ثم إنهم أحاطوا بالدار وحصروه ، فقال سعد بن إبراهيم ، عن أبيه : سمعت عثمان يقول : إن وجدتم في الحق أن تضعوا رجلي في القيد فضعوهما .

[٣] وقال ثُمامة بن حَزْن القشيري : شهدت الدار وأشرف عليهم عثمان فقال : ائتوني بصاحبيكم اللذين ألباكم ، فدُعيا له كأنهما جملان أو حماران ، فقال : أنشُدُكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس فيها ماء عذب غير بئر رومة ، فقال : « من يشتريها فيكون دلوه كدلاء المسلمين ، وله في الجنة خير منها » فاشتريتها ، وأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها حتى أشرب من الماء المالح ؟ قالوا : اللهم نعم ، قال : أنشدكم الله والإسلام ، هل تعلمون أن

المسجد ضاق بأهله ، فقال رسول الله ﷺ : « من يشتري بقعة بخير له منها في الجنة » ، فاشتريتها وزدتها في المسجد ، وأنتم تمنعوني اليوم أن أصلي فيها ؟ قالوا : اللهم نعم ، قال : أنشدكم الله ، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثَبير[1] مكة ، فتحرك وعليه أبو بكر وعمر وأنا ، فقال : « اسكن فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان » . قالوا : اللهم نعم ، فقال : الله أكبر شهدوا ورب الكعبة أني شهيد .

ورواه أبو سلمة بن عبد الرحمن بنحوه ، وزاد فيه أنه جهز جيش العسرة .

ثم قال : ولكن طال عليكم أمري فاستعجلتم ، وأردتم خلع سربال سَرْبَلَنِيه الله ، وإني لا أخلعه حتى الموت أو أقتل .

وعن ابن عبد الرحمن قال : فأشرف عليهم وقال : علام تقتلونني ؟ فإن رسول الله ﷺ قال : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إسلام ، أو رجل زنى بعد إحصان ، أو رجل قتل نفساً » ، فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام ، ولا قتلت رجلًا ولا كفرت .

عن الحسن ، قال عثمان : لئن قتلوني لا يقاتلون عدواً جميعاً أبداً ولا يقتسمون فيئاً جميعاً أبداً ، ولا يصلون جميعاً أبداً .

وقال مثله عبد الملك بن أبي سلمان ، عن أبي ليلى الكندي ، وزاد فيه : ثم أرسل إلى عبد الله بن سلام فقال : ما ترى ؟ قال : الكفَّ الكفَّ ، فإنه أبلغ لك في الحجة ، فدخلوا عليه فقتلوه وهو صائم رضي الله عنه وأرضاه .

وقال الحسن : حدثني وثاب قال : بعثني عثمان ، فدعوت له الأشتر فقال : ما يريد الناس ؟ قال : إحدى ثلاث : يخيرونك بين الخلع ، وبين أن تقتص من نفسك ، فإن أبيت فإنهم قاتلوك ، فقال : ما كنت لأخلع سربالًا سَرْبَلَنِيه الله ، وبدني ما يقوم لقصاص .

---

(١) قلت : هو جبل بمكة .

[١] وقال حُمَيْد بن هلال : ثنا عبد الله بن مغفل قال : كان عبد الله بن سلام يجيء من أرض له على حمار يوم الجمعة ، فلما حصر عثمان قال : يا أيها الناس لا تقتلوا عثمان ، واستعتبوه ، فوالذي نفسي بيده ما قتلت أمة نبيها فصلح ذات بينهم حتى يهريقوا دم سبعين ألفاً وما قتلت أمة خليفتها فيصلح الله بينهم حتى يهريقوا دم أربعين ألفاً ، وما هلكت أمة حتى يرفعوا القرآن على السلطان ، قال : فلم ينظروا فيما قال : وقتلوه ، فجلس على طريق علي بن أبي طالب ، فقال له : لا تأتي العراق والزم منبر رسول الله ﷺ ، فوالذي نفسي بيده لئن تركته لا تراه أبداً ، فقال من حول علي : دعنا نقتله ، قال : دعوا عبد الله بن سلام ، فإنه رجل صالح .

[٢] ودخل ابن عمر على عثمان وهو محصور فقال : ما ترى ؟ قال : أرى أن تعطيهم ما سألوك من وراء عتبة بابك غير أن لا تخلع نفسك ، فقال : دونك عطاءك ـ وكان واجداً عليه ـ فقال : ليس هذا يوم ذاك ثم خرج ابن عمر إليهم فقال : إياكم وقتل هذا الشيخ ، والله لئن قتلتموه لم تحجوا البيت جميعاً أبداً ولم تجاهدوا عدوكم جميعاً أبداً ، ولم تقتسموا فيئكم جميعاً أبداً إلا أن تجتمع الأجساد والأهواء مختلفة ، ولقد رأيتنا وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون نقول : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان .

[٣] وعن أبي جعفر القاري قال : كان المصريون الذين حصروا عثمان ستمائة : رأسهم كنانة بن بشر ، وابن عُدَيْس البلوي ، وعمر بن الحَمِق ، والذين قدموا من الكوفة مائتين ، رأسهم الأشتر النخعي ، والذين قدموا من البصرة مائة ، رأسهم حُكَيْم بن جَبَلَة ، وكانوا يداً واحدة في الشر ، وكانت حثالة من الناس قد ضَوَوْا إليهم ، وكان أصحاب النبي ﷺ الذين خذلوه كرهوا الفتنة وظنوا أن الأمر لا يبلغ قتله ، فلما قتل ندموا على ما ضيعوا في أمره ، ولعمري لو قاموا أو قام بعضهم فحثا في وجوه أولئك التراب لانصرفوا خاسئين .

وقال حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي جعفر محمد بن علي : إن عثمان بعث إلى علي يدعوه وهو محصور ، فأراد أن يأتيه ، فتعلقوا به ومنعوه ، فحسر عمامة

سوداء عن رأسه وقال : اللهم لا أرضى قتله ولا آمر به .

وعن أبي إدريس الخولاني قال : أرسل عثمان إلى سعد ، فأتاه ، فكلمه ، فقال له سعد : أرسل إلى علي ، فإن أتاك ورضي صلح الأمر ، قال : فأنت رسولي إليه ، فأتاه ، فقام معه علي ، فمر بمالك الأشتر ، فقال الأشتر لأصحابه : أين يريد هذا ؟ قالوا : يريد عثمان ، فقال : والله لئن دخل عليه لتقتلن عن آخركم ، فقام إليه في اصحابه حتى اختجله عن سعد وأجلسه في أصحابه ، وأرسل إلى أهل مصر : إن كنتم تريدون قتله فأسرعوا ، فدخلوا عليه فقتلوه .

[١] وعن أبي حبيبة قال : لما اشتد الأمر ، قالوا لعثمان ـ يعني الذين عنده في الدار ـ ائذن لنا في القتال ، فقال : أعزم على من كانت لي عليه طاعة أن لا يقاتل .

[٢] وقال نافع ، عن ابن عمر : أصبح عثمان يحدث الناس قال : رأيت رسول الله ﷺ الليلة في المنام ، فقال : « أفطر عندنا غداً » فأصبح صائماً ، وقتل من يومه .

[٣] ومن وجه آخر ، عن ابن سيرين قال : انطلق الحسن والحسين وابن عمر ، ومروان ، وابن الزبير ، كلهم شاك السلاح ، حتى دخلوا على عثمان ، فقال : أعزم عليكم لما رجعتم فوضعتم أسلحتكم ولزمتم بيوتكم ، فقال ابن الزبير ، ومروان : نحن نعزم على أنفسنا أن لا نبرح ، وخرج الآخرون .

[٤] وقال ابن سيرين : كان مع عثمان يومئذ في الدار سبعمائة لو يدعهم لضربوهم حتى يخرجوهم من أقطارها .

[٥] وعن مسلم أبي سعيد قال : أعتق عثمان عشرين مملوكاً ، ثم دعا بسراويل ، فشدها عليه[١] ، ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام ، وقال : إني

(١) إنما لبسها لئلا تبدو عورته إذا قتل ، رضي الله عنه .

رأيت رسول الله ﷺ البارحة ، وأبا بكر وعمر ، فقال : « اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة » ثم نشر المصحف بين يديه ، فقتل وهو بين يديه .

وقال ابن عوف ، عن الحسن : أنبأني وثاب مولى عثمان قال : جاء رويجل كأنه ذئب ، فاطَّلع من باب ، ثم رجع ، فجاء محمد بن أبي بكر في ثلاثة عشر رجلًا ، فدخل حتى انتهى إلى عثمان ، فأخذ بلحيته ، فقال بها حتى سمعت وقع أضراسه ، فقال : ما أغنى عنك معاوية ، ما أغنى عنك ابن عامر ، ما أغنت عنك كتبك ، فقال : أرسل لحيتي يا ابن أخي ، قال : فأنا رأيته استعدى رجلًا من القوم عليه يعينه ، فقام إلى عثمان بمشقص ، حتى وجأ به في رأسه ثم تعاوروا عليه حتى قتلوه .

وعن ريطة مولاة أسامة قالت : كنت في الدار ، إذ دخلوا ، فجاء محمد فأخذ بلحية عثمان فهزها ، فقال : يا ابن أخي دع لحيتي ، لتجذب ما يعز على أبيك أن تؤذيها ، فرأيته كأنه استحى ، فقام ، فجعل بطرف ثوبه هكذا : ألا ارجعوا . قالت : وجاء رجل من خلف عثمان بسَعَفَة رطبة ، فضرب بها جبهته فرأيت الدم يسيل ، وهو يمسحه ويقول : « اللهم لا يطلب بدمي غيرك »[1] ، وجاء آخر فضربه بالسيف على صدره فأقعصه[2] ، وتعاوروه بأسيافهم ، فرأيتهم ينتهبون بيته .

وعن الزهري قال : قتل عند صلاة العصر ، وشد عبد لعثمان على كنانة بن

---

(١) ورد من دعاء عثمان عليهم في (الثقات لابن حبان ٢/ ٢٦١) : اللهم فشتت أمرهم ، وخالف بين كلمتهم ، وانتقم لي منهم ، واطلبهم لي طلباً حثيثاً .
وقد استجيب دعاؤه في كل ذلك .
وقال ابن كثير في (البداية والنهاية ٧/ ١٨٩) : لما بلغ سعد بن أبي وقاص ـ وكان مستجاب الدعاء ـ قتل عثمان : قال . . . اللهم أندمهم ، ثم خذهم . وقد أقسم بعض السلف بالله أنه ما مات أحد من قتلة عثمان إلا مقتولًا .

(٢) أقعصه ، وقعصته : إذا قتلته قتلًا سريعاً .

بشر فقتله ، وشد سودان على العبد فقتله .

[١] وقال أبو نضرة ، عن ابي سعيد قال : ضربوه فجرى الدم على المصحف على : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1] .

[٢] وقال عمران بن حدير ، إلا يكن عبد الله بن شقيف حدثني : أن أول قطرة قطرت من دمه على : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ ﴾ فإن أبا حريث ذكر أنه ذهب هو وسهيل المري ، فأخرجوا إليه المصحف ، فإذا قطرة الدم على ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ ﴾ قال : فإنها في المصحف ما حكت .

[٣] وقال ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب قال : بلغني أن الركب الذين ساروا إلى عثمان عامتهم جُنُّوا .

[٤] وقال ليث بن أبي سليم ، عن طاووس ، عن ابن عباس سمع علياً يقول : والله ما قَتلت ـ يعني عثمان ـ ولا أمرت ، ولكن غُلبت ، يقول ذلك ثلاثاً . وجاء نحوه عن علي من طرق .

وجاء عنه أنه لعن قتلة عثمان .

وعن الشعبي قال : ما سمعت من مراثي عثمان أحسن من قول كعب بن مالك :

فكف يديه ثم أغلق بابه ... وأيقن أن الله ليس بغافل
وقال لأهل الدار : لا تقتلوهمُ ... عفا الله عن كل امرىء لم يقاتل
فكيف رأيت الله صب عليهم الـ ... ـعداوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير أدبر بعده ... عن الناس إدبار النَّعَام الجوافل

ورثاه حسان بن ثابت بقوله :

من سره الموت صرفاً لا مزاج له ... فليأتِ مأدُبةً في دار عثمانا

(١) البقرة : ١٣٧ .

ضحَّوا بأشْمَطَ[1] عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا
صبراً فدىً لكم أمي وما ولدت قد ينفع الصبر في المكروه أحيانا
لتسمعن وشيكاً في ديارهم : الله أكبر يا ثاراتِ عثمانا

* * *

(١) الأشمط : الأشيب .

علي بن أبي طالب (ع)

عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أمير المؤمنين أبو الحسن القرشي الهاشمي ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية ، وهي بنت عم أبي طالب ، كانت من المهاجرات ، توفيت في حياة النبي ﷺ بالمدينة .

قال عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، عن علي : قلت لأمي اكفي فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقاية الماء والذهاب في الحاجة ، وتكفيك هي الطحن والعجن ، وهذا يدل على أنها توفيت بالمدينة .

روى الكثير عن النبي ﷺ ، وعرض عليه القرآن وأقرأه .

عرض عليه أبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو الأسود الدؤلي ، وعبد الرحمن ابن أبي ليلى .

وروى عن علي : أبو بكر ، وعمر ، وبنوه الحسن والحسين ، ومحمد ، وعمر ، وابن عمه ابن عباس ، وابن الزبير ، وطائفة من الصحابة ، وخلق كثير .

وكان من السابقين الأولين ، شهد بدراً وما بعدها ، وكان يكنى أبا تراب .

[١] عن سهل ، إن رجلًا من آل مروان استعمل على المدينة ، فدعاني وأمرني أن أشتم علياً فأبيت ، فقال : أما إذا أبيت فالعن أبا تراب ، فقال سهل : ما كان لعلي اسم أحب إليه منه ، إن كان ليفرح إذا دعي به . فقال له : أخبرنا عن قصته لم سمي أبا تراب ؟ فقال : جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة ، فلم يجد علياً في البيت ، فقال : أين ابن عمك ؟ فقالت : قد كان بيني وبينه شيء فغاظني ، فخرج ولم يَقِل عندي ، فقال لإنسان : « اذهب انظر أين هو » . فجاء فقال :

يا رسول الله هو راقد في المسجد ، فجاءه رسول الله ﷺ ، وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب ، فجعل رسول الله ﷺ يمسح عنه التراب ويقول : « قم أبا تراب ، قم أبا تراب » .

وقال أبو رجاء العطاردي : رأيت علياً شيخاً أصلع كثير الشعر ، كأنما اجتاب[١] إهاب شاة[٢] ، رَبْعَةً عظيم البطن ، عظيم اللحية .

وقال الحسن بن زيد بن الحسن : أسلم وهو ابن تسع .

[١] وعن محمد القرظي قال : أول من أسلم خديجة ، وأول رجلين أسلما أبو بكر ، وعلي ، وإن أبا بكر أول من أظهر الإسلام ، وكان علي يكتم الإسلام فَرَقاً من أبيه ، حتى لقيه ابو طالب فقال : أسلمت ؟ قال : نعم ، قال : وازر ابن عمك وانصره ، وأسلم علي قبل أبي بكر .

وقال قتادة: إن علياً كان صاحب لواء رسول الله ﷺ يوم بدر ، وفي كل مشهد .

وقال أبو هريرة وغيره : إن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطين الراية رجلًا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، ويفتح الله على يديه » . قال عمر : فما أحببت الإمارة قبل يومئذ ، قال : فدعا علياً فدفعها إليه .

عن البراء وزيد بن أرقم ، أن رسول الله ﷺ قال لعلي : « أنت مني كهارون من موسى ، غير أنك لست بنبي » .

ولما نزلت هذه الآية : ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾[٣] دعاه رسول الله ﷺ ، وفاطمة ، وحسناً وحسيناً فقال : « اللهم هؤلاء أهلي » .

عن زيد بن أرقم ، أن رسول الله ﷺ قال لعلي يوم غدير خُمّ ، « من كنت مولاه فعلي مولاه » .

---

(١) أي لبس .
(٢) قلت : أي جلد شاة .
(٣) آل عمران : ٦١ .

عن زر ، عن علي قال : إنه لعهد النبي ﷺ إليّ أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق .

عن جابر قال : ما كنا نعرف منافقي هذه الأمة إلا ببغضهم علياً .

[١] عن الحارث ، عن علي قال : يهلك فيَّ رجلان : مبغض مُفْتَرٍ ، ومحب مُطْرٍ .

[٢] وعن الشعبي قال : قال علي : ما كان لنا إلا إهاب كبش ننام على ناحيته ، وتعجن فاطمة على ناحيته ، يعني ننام على وجه ، وتعجن على وجه .

[٣] عن علي قال : بعثني النبي ﷺ إلى اليمن ، وأنا حديث السن ، ليس لي علم بالقضاء ، فضرب صدري وقال : اذهب فإن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك قال : فما شككت في قضاء بين اثنين بعد .

[٤] عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه قال : خطبنا علي فقال : من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة ، وفيها أسنان الإبل وشيء من الجراحات ، فقد كذب .

وقال ابن عباس : قال عمر : علي أقضانا ، وأبيّ أقرؤنا .

وقال ابن المسيب ، عن عمر قال : أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن .

وقال مسروق : انتهى علم أصحاب رسول الله ﷺ إلى عمر ، وعلي ، وعبد الله .

وقال محمد بن منصور الطوسي : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ما ورد لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما ورد لعلي .

[٥] وقال أبو حيان التيمي : حدثني مجمع ، أن علياً كان يكنس بيت المال ثم يصلي فيه ، رجاء أن يشهد له أنه لم يحبس فيه المال عن المسلمين .

[٦] وعن جُرْمُوز قال : رأيت علياً وهو يخرج من القصر ، وعليه إزار إلى

نصف الساق ، ورداء مشمر ، ومعه دِرَّة[١] يمشي بها في الأسواق ، ويأمرهم يتقوى الله وحسن البيع ، ويقول : أوفوا الكيل والميزان ، ولا تنفخوا اللحم .

وقال الحسن بن صالح بن حي : تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز ، فقال : أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب .

[١] وقال خيثمة بن عبد الرحمن : قال علي : من اراد أن ينصف الناس من نفسه فليحب لهم ما يحب لنفسه .

[٢] عن زيد بن وهب قال : قدم على علي قوم من البصرة من الخوارج ، فقال منهم الجعد بن نعجة : اتق الله يا علي فإنك ميت ، فقال علي : بل مقتول : ضربة على هذه تخضب هذه ، عهد معهود وقضاء مقضي ، وقد خاب من افترى ، قال : وعاتبه في لباسه فقال : ما لكم وللباسي ، هو أبعد من الكبر ، وأجدر أن يقتدي بي المسلم .

عن أبي الطفيل : إن علياً رضي الله عنه تمثل :

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من القتل إذا حلَّ بواديكا

وقال يونس بن بكير : حدثني علي ابن فاطمة ، حدثني الأصبغ الحَنْظَلي قال : لما كانت الليلة التي أصيب فيها علي أتاه ابن النباح حين طلع الفجر ، يؤذنه بالصلاة ، فقام يمشي ، فلما بلغ الباب الصغير ، شد عليه عبد الرحمن بن ملجم ، فضربه ، فخرجت أم كلثوم فجعلت تقول : ما لي ولصلاة الصبح ، قتل زوجي عمر صلاة الغداة ، وقتل أبي صلاة الغداة .

[٣] وقال أبو جناب الكلبي : حدثني أبو عون الثقفي ، عن ليلة قتل علي قال : قال الحسن بن علي : خرجت البارحة وأمير المؤمنين يصلي فقال لي : يا بني إني بت البارحة أوقظ أهلي لأنها ليلة الجمعة صبيحة بدر ، لسبع عشرة من رمضان ، فملكتني عيناي ، فسَنَحَ لي رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، ماذا لقيتُ

(١) قلت : عصا .

من أمتك من الأوَد واللَّدَد[١] ، فقال : « ادع عليهم » فقلت : اللهم أبدلني بهم من هو خير منهم ، وأبدلهم بي من هو شر مني . فجاء ابن النباح فآذنه بالصلاة ، فخرج ، وخرجت خلفه ، فاعتَوَرَه رجلان : أما أحدهما فوقعت ضربته في السُدَّة ، وأما الآخر فأثبتها في رأسه .

وقال جعفر بن محمد ، عن أبيه ، إن علياً كان يخرج إلى الصلاة وفي يده دِرَّة يوقظ الناس بها ، فضربه ابن ملجم ، فقال علي : أطعموه واسقوه فإن عشت فأنا ولي دمي .

رواه غيره ، وزاد : فإن بقيت قتلت أو عفوت فإن مت فاقتلوه قتلتي ، ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ ومكث علي يوم الجمعة والسبت ، وتوفي ليلة الأحد ، لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان .

[١] فلما دفن أحضروا بن مُلْجم ، فاجتمع الناس ، وجاءوا بالنفط والبواري ، فقال محمد بن الحنفية ، والحسين ، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب : دعونا نَشْتَفِ منه ، فقطع عبد الله يديه ورجليه ، فلم يجزع ولم يتكلم ، فكحل عينيه ، فلم يجزع ، وجعل يقول : إنك لتكحل عيني عمك ، وجعل يقرأ : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ حتى ختمها ، وإن عينيه لتسيلان ، ثم أمر به فعولج عن لسانه ليقطع ، فجزع ، فقيل له في ذلك . فقال : ما ذاك بجزع ، ولكني أكره أن أبقى في الدنيا فُواقاً لا أذكر الله ، فقطعوا لسانه ، ثم أحرقوه في قَوْصرة ، وكان أسمر ، حسن الوجه ، أفلج ، شعره مع شحمة أذنيه ، وفي جبهته أثر السجود .

وقال جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : صلى الحسن على علي ، ودفن بالكوفة ، عند قصر الإمارة ، وعُمِّي قبره .

وعن أبي بكر بن عياش قال : عموه لئلا تنبشه الخوارج .

---

(١) الأوَد : العوَج . واللَّدَد : الخصومة .

وقال مُطَيّن : لو علمت الرافضة قبر من هذا الذي يزار بظاهر الكوفة لرجمته ، هذا قبر المغيرة بن شعبة .

قال أبو جعفر الباقر : قتل علي وهو ابن ثمان وخمسين .

[١] عن هُبيرة بن يريم قال : خطبنا الحسن بن علي فقال : لقد فارقكم بالأمس رجل ما سبقه إلا الأولون بعلم ، ولا يدركه الآخرون ، كان رسول الله ﷺ يعطيه الراية ، فلا ينصرف حتى يفتح له ، ما ترك بيضاء ولا صفراء ، إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه ، كان أرصدها لخادم أهله .

[٢] وقال أبو إسحاق ، عن عمرو الأصم قال : قلت للحسن بن علي : إنّ الشيعة يزعمون أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة ، فقال : كذبوا والله ما هؤلاء بشيعة ، لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ، ولا قسمنا ميراثه .

[٣] قاتل علي رضي الله عنه خارجي مفتر ، ذكره ابن يونس في « تاريخ مصر » فقال : شهد فتح مصر ، واختط بها مع الأشراف ، وكان ممن قرأ القرآن ، والفقه ، وهو أحد بني تدُول وكان فارسهم بمصر ، قرأ القرآن على معاذ ابن جبل ، وكان من العباد .

[٤] قلت : ثم أدركه الكتاب ، وفعل ما فعل ، وهو عند الخوارج من أفضل الأمة ، وكذلك تعظمه النصيرية .

قال الفقيه أبو محمد بن حزم : يقولون إن ابن مُلْجم أفضل أهل الأرض ، خلص روح اللاهوت من ظلمة الجسد وكدره[1] .

فاعجبوا يا مسلمين لهذا الجنون .

[٥] وفي ابن مُلْجَم يقول عمران بن حطان الخارجي :

يا ضربة من تقيٍّ ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره حيناً فأحسبه ... أوفى البرية عند الله ميزانا

---

(١) قلت : وذلك بناء على مذهبهم الباطل أن علياً حل فيه الإله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

[١] وابن مُلْجَم عند الروافض أشقى الخَلق في الآخرة ، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النار ، ونُجَوِّز أن الله يتجاوز عنه ، لا كما يقول الخوارج والروافض فيه . وحكمه حكم قاتل عثمان ، وقاتل الزبير ، وقاتل طلحة ، وقاتل سعيد بن جبير ، وقاتل عمار ، وقاتل خارجة ، وقاتل الحسين ، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله ، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل .

سنة ست وثلاثين
وقعة الجمل

لما قتل عثمان صبراً ، سقط في أيدي أصحاب النبي ﷺ وبايعوا علياً ، ثم إن طلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وأم المؤمنين عائشة ، ومن تبعهم رأوا أنهم لا يخلصهم مما وقعوا فيه من توانيهم في نصرة عثمان ، إلا أن يقوموا في الطلب بدمه ، والأخذ بثأره من قتلته ، فساروا من المدينة بغير مشورة من أمير المؤمنين علي ، وطلبوا البصرة .

قال خليفة : قدم طلحة ، والزبير ، وعائشة البصرة ، وبها عثمان بن حُنَيْف الأنصاري والياً لعلي ، فخاف وخرج منها ، ثم سار علي من المدينة بعد أن استعمل عليها سهل بن حنيف أخا عثمان ، وبعث ابنه الحسن ، وعمار بن ياسر إلى الكوفة بين يديه يستنفران الناس ، ثم إنه وصل إلى البصرة ، وكان قد خرج منها قبل قدومه إليها حُكَيْم بن جَبَلة العبدي في سبعمائة وهو أحد الرؤوس الذين خرجوا على عثمان كما سلف ، فالتقى هو وجيش طلحة والزبير ، فقتل الله حُكَيماً في طائفة من قومه ، وقتل مقدم جيش الآخرين أيضاً مُجاشع بن مسعود السلمي .

ثم اصطلحت الفئتان ، وكفوا عن القتال ، على أن يكون لعثمان بن حنيف دار الإمارة والصلاة ، وأن ينزل طلحة والزبير حيث شاءا من البصرة ، حتى يقدم علي رضي الله عنه .

وقال عمار لأهل الكوفة : أما والله إني لأعلم أنها ـ يعني عائشة ـ زوجة

نبيكم في الدنيا والآخرة ، ولكن الله ابتلاكم بها لينظر أتتبعونه أو إياها .

وقال سعيد بن جبير : كان مع علي يوم وقعة الجمل ثمانمائة من الأنصار ، وأربعمائة ممن شهد بيعة الرضوان .

وقال سلمة بن كهيل : فخرج من الكوفة ستة آلاف فقدموا على علي بذي قار ، فسار في نحو عشرة آلاف ، حتى أتى البصرة .

وقال أبو عبيدة : كان على خيل علي يوم الجمل عمار ، وعلى الرجّالة محمد ابن أبي بكر الصديق ، وعلى الميمنة عِلباء بن الهيثم السَّدوسي ، ويقال : عبد الله بن جعفر ، ويقال : الحسن بن علي ، وعلى الميسرة الحسين بن علي وعلى المقدمة عبد الله بن عباس ، ودفع اللواء إلى ابنه محمد بن الحنفية . وكان لواء طلحة والزبير مع عبد الله ابن حكيم بن حزام ، وعلى الخيل طلحة ، وعلى الرجالة عبد الله بن الزبير ، وعلى الميمنة عبد الله بن عامر بن كُرَيز ، وعلى الميسرة مروان بن الحكم .

وكانت الوقعة يوم الجمعة ، خارج البصرة ، عند قصر عبيد الله بن زياد .

[١] وقال أبو اليقظان : خرج يومئذ كعب بن سُور الأزدي في عنقه المصحف ، ومعه ترس ، فأخذ بخطام جمل عائشة ، فجاءه سهم غرب فقتله .

[٢] قال محمد بن سعد : وكان كعب قد طين عليه بيتاً ، وجعل فيه كوة يتناول منها طعامه وشرابه اعتزالاً للفتنة ، فقيل لعائشة : إن خرج معك لم يتخلف من الأزد أحد ، فركبت إليه فنادته وكلمته فلم يجبها ، فقالت : ألست أمك ؟ ولي عليك حق ، فكلمها ، فقالت : إنما أريد أن أصلح بين الناس . فذلك حين خرج ونشر المصحف ، ومشى بين الصفين يدعوهم إلى ما فيه ، فجاءه سهم فقتله .

وقال حصين بن عبد الرحمن : قام كعب بن سُور فنشر مصحفاً بين الفريقين ، ونشدهم الله والإسلامَ في دمائهم ، فما زال حتى قتل .

وقال غيره : اصطف الفريقان ، وليس لطلحة ولا لعلي رأسي الفريقين قصد

ولما بويع عليّ بالخلافة قال له ابنه الحسن وابن عباس : اكتب إلى معاوية فأقره على الشام ، وأطمعه فإنه سيطمع ويكفيك نفسه وناحيته ، فإذا بايع لك الناس أقررته أو عزلته ، قال : فإنه لا يرضى حتى أعطيه عهد الله وميثاقه أن لا أعزله ، قالا : لا تعطه ذلك . وبلغ ذلك معاوية فقال : والله لا ألي له شيئاً ولا أبايعه ، وأظهر بالشام أن الزبير بن العوام قادم عليهم ، وأنه مبايع له ، فلما بلغه أمر الجمل أمسك ، فلما بلغه قتل الزبير ترحم عليه وقال : لو قدم علينا لبايعناه وكان أهلًا .

فلما انصرف علي من البصرة ، أرسل جرير بن عبد الله البَجَلي إلى معاوية ، فكلم معاوية ، وعظم أمر علي ومبايعته واجتماع الناس عليه ، فابى أن يبايعه ، وجرى بينه وبين جرير كلام كثير ، فانصرف جرير إلى علي فأخبره ، فأجمع على المسير إلى الشام ، وبعث معاوية أبا مسلم الخولاني إلى علي بأشياء يطلبها منه ، منها أن يدفع إليه قتلة عثمان ، فأبى علي ، وجرت بينهما رسائل .

ثم سار كل منهما يريد الآخر ، فالتقوا بصفين لسبع بقين من المحرم ، وشبت الحرب بينهم في أول صفر ، فاقتتلوا أياماً .

فحدثني ابن أبي سبرة ، عن عبد المجيد بن سهيل ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : استعملني عثمان على الحج ، فأقمت للناس الحج ، ثم قدمت وقد قتل وبويع لعلي ، فقال : سر إلى الشام فقد وليتكها ، قلت : ما هذا برأي ، معاوية ابن عم عثمان وعامله على الشام ، ولست آمن أن يضرب عنقي بعثمان ، وأدنى ما هو صانع أن يحبسني ، قال علي : ولم ؟ قلت : لقرابتي منك ، وأن كل من حمل عليك حمل علي ، ولكن اكتب إلى معاوية فمنِّه وعِدْه ، فابى علي وقال : والله لا كان هذا أبداً .

وقال الأعمش : حدثني من رأى علياً يوم صفين يصفق بيديه ويعض عليها ويقول : واعجباً أعصى ويطاع معاوية .

وقال الواقدي : اقتتلوا أياماً حتى قتل خلق وضجروا ، فرفع أهل الشام

المصاحف وقالوا : ندعوكم إلى كتاب الله والحكم بما فيه ، وكان ذلك مكيدة من عمرو بن العاص ، يعني لما رأى ظهور جيش علي . فاصطلحوا كما يأتي .

وقال الزهري : اقتتلوا قتالاً لم تقتتل هذه الأمة مثله قط ، وغلب أهل العراق على قتلى أهل حمص ، وغلب أهل الشام على قتلى أهل العالية ، وكان على ميمنة علي الأشعث بن قيس الكندي ، وعلى الميسرة عبد الله بن عباس ، وعلى الرّجالة عبد الله بن بُدَيل بن وَرْقاء الخزاعي ، فقتل يومئذ . ومن أمراء علي يومئذ الأحنف بن قيس التيمي ، وعمار بن ياسر العَنْسيّ وسليمان بن صُرَدْ الخزاعي ، وعدي بن حاتم الطائي ، والأشتر النَّخَعي ، وعمرو بن الحَمِق الخزاعي ، وشبَث ابن ربعي الرياحي ، وسعيد بن قيس الهمداني ، وقيس بن مكشوح المرادي ، وخزيمة بن ثابت الأنصاري ، وغيرهم .

وكان علي في خمسين ألفاً ، وقيل : في تسعين ألفاً ، وقيل : كانوا مائة ألف .

وكان معاوية في سبعين ألفاً ، وكان لواؤه مع عبد الرحمن بن خالد بن خالد ابن الوليد المخزومي ، وعلى ميمنته عمرو بن العاص ، وقيل ابنه عبيد الله بن عمرو ، وعلى الميسرة حبيب بن مسلمة الفِهْريّ ، وعلى الخيل عبيد الله بن عمر ابن الخطاب ، ومن أمرائه يومئذ أبو الأعور السلمي ، وزفر بن الحارث ، وذو الكَلاع الحميري ، ومسلمة بن مخلد ، وبسر بن أرطأة العامري ، وحابس بن سعد الطائي ، ويزيد بن هبيرة السَّكُونيّ ، وغيرهم .

عن عبد الله بن سَلِمَة قال : رأيت عمار بن ياسر بصفين ، ورأى راية معاوية فقال : إن هذه قاتلت بها مع رسول الله ﷺ أربع مرات ، ثم قاتل حتى قتل .

وقال غيره : برز الأشعث بن قيس في ألفين ، فبرز لهم أبو الأعور في خمسة آلاف ، فاقتتلوا : ثم غلب الأشعث على الماء وأزالهم عنه .

[١] ثم التقوا يوم الأربعاء سابع صفر ، ثم يوم الخميس والجمعة وليلة السبت ، ثم رفع أهل الشام ـ لما رأوا الكَسْرة ـ المصاحف بإشارة عمرو ، ودعوا

وأقبل عمرو فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن هذا قد قال ما سمعتم ، وخلع صاحبه ، وإني خلعت صاحبه وأثبت صاحبي معاوية ، فإنه ولي عثمان ، والطالب بدمه ، وأحق الناس بمقامه ، فقال سعد بن أبي وقاص : ويحك يا أبا موسى ما أضعفك عن عمرو ومكايده ، فقال : ما أصنع به ، جامعني على أمر ، ثم نزع عنه ، فقال ابن عباس : لا ذنب لك ، الذنب للذي قدمك ، فقال : رحمك الله غدر بي ، فما أصنع ، وقال أبو موسى : يا عمرو إنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، فقال عمرو : إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً . فقال : ابن عمر : إلى ما صير أمر هذه الأمة ! إلى رجل لا يبالي ما صنع ، وآخر ضعيف .

وقال الواقدي : رفع أهل الشام المصاحف وقالوا : ندعوكم إلى كتاب الله والحكم بما فيه . فاصطلحوا وكتبوا بينهما كتاباً على أن يوافوا رأس الحول أذْرُح ويحكموا حكمين ، ففعلوا ذلك فلم يقع اتفاق ، ورجع علي بالاختلاف والدغل من أصحابه ، فخرج منهم الخوارج ، وأنكروا تحكيمه وقالوا : لا حكم إلا الله ورجع معاوية بالألفة واجتماع الكلمة عليه .

ثم بايع أهل الشام معاوية بالخلافة في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين . كذا قال .

وقال خليفة وغيره : إنهم بايعوه في ذي القعدة سنة سبع وثلاثين ، وهو أشبه ، لأن ذلك كان إثر رجوع عمرو بن العاص من التحكيم .

[١] فلما تفرق الحكمان خطب معاوية فقال : من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع إليّ قرنه فلنحن أحق بهذا الأمر منه ومن أبيه ـ يعرض بابن عمر ـ قال ابن عمر : فحللت حبوتي وهممت أن أقول : أحق به من قاتلك وأباك على الإسلام . فخشيت أن أقول كلمة تفرق الجميع وتسفك الدم ، فذكرت ما أعد الله في الجنان[1] .

---

(١) قلت : رحمه الله ، ما أشد حرصه على مصلحة الأمة واجتماعها .

سنة ثمان وثلاثين

[١] وفي شعبان ثارت الخوارج وخرجوا على علي ، وأنكروا عليه كونه حكم الحكمين ، وقالوا : حكمت في دين الله الرجال ، والله يقول : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾(١) ، فناظرهم ، ثم أرسل إليهم عبد الله بن عباس ، فبين لهم فساد شبهتهم ، وفسر لهم ، واحتج بقوله تعالى : ﴿ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾(٢) وبقوله : ﴿ فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾(٣) فرجع إلى الصواب منهم خلق ، وسار الآخرون ، فلقوا عبد الله بن خباب بن الأرت ، ومعه امرأته فقالوا : من أنت ؟ فانتسب لهم ، فسألوه عن أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، فأثنى عليهم كلهم ، فذبحوه وقتلوا امرأته ، وكانت حبلى ، فبقروا بطنها ، وكان من سادات أبناء الصحابة .

[٢] وفيها سارت الخوارج لحرب علي ، فكانت بينهم وقعة النهروان وكان على الخوارج عبد الله بن وهب السبائي ، فهزمهم علي وقتل أكثرهم ، وقتل ابن وهب . وقتل من أصحاب علي اثنا عشر رجلًا .

[٣] وقيل في تسميتهم الحَرُورِيّة لأنهم خرجوا على علي من الكوفة ، وعسكروا بقرية قريبة من الكوفة يقال لها « حروراء » ، واستحل علي قتلهم لما فعلوا بابن خباب وزوجته .

وكانت الواقعة في شعبان سنة ثمان ، وقيل : صفر .

[٤] قال عكرمة بن عمار : حدثني أبو زُمَيْل أن ابن عباس قال : لما اجتمعت الخوارج في دارها ، وهم ستة آلاف أو نحوها ، قلت لعلي : يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة لعلي ألقى هؤلاء ، قال : فأني أخافهم عليك ، قلت : كلا ، قال : فلبس ابن عباس حلتين من أحسن الحلل ، وكان جهيراً جميلًا ، قال : فأتيت

---

(١) الأنعام : ٥٧ .
(٢) المائدة : ٩٥ .
(٣) النساء : ٣٥ .

[١] وكان علي قد تجهز يريد معاوية ، فرد من عانات ، واشتغل بحرب الخوارج الحرورية ، وهم العباد والقراء من أصحاب علي الذين مرقوا من الإسلام ، وأوقعهم الغلو في الدين إلى تكفير العصاة بالذنوب ، وإلى قتل النساء والرجال ، إلا من اعترف لهم بالكفر وجدد إسلامه .

عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، سمع محمد بن الحنفية يقول : كان أبي يريد الشام ، فجعل يعقد لواءه ، ثم يحلف لا يحله حتى يسير ، فيأبى عليه الناس ، وينتشر عليه رأيهم ، ويجبنون فيحله ويكفر عن يمينه ، فعل ذلك أربع مرات ، وكنت أرى حالهم فأرى ما لا يسرني . فكلمت المِسْوَر بن مَخْرَمَة يومئذ ، وقلت : ألا تكلمه أين يسير بقوم لا والله ما أرى عندهم طائلًا ، قال : يا أبا القاسم يسير الأمر قد حُمّ ، قد كلمته فرأيته يأبى إلا المسير .

قال ابن الحنفية : فلما رأى منهم ما رأى قال : اللهم إني قد مللتهم وقد ملوني ، وابغضتهم وأبغضوني ، فأبدلني خيراً منهم ، وأبدلهم ، شراً مني .